



يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم بالقاهرة

الغلاف والرسوم الداخلية

بريشة للفنان محمود مصطفى

الاشراف الفنى

سعيد عارف

إهداء

صغيرتي.. لأنكِ أنتِ وحدكِ..
نقشت لك هذه السطور..

جيلالي حمزة

الفصل الأول



لا يمل من الطلوع •• من طلوعــه على •• الفجر يصر على الشروق على كل يوم ••

الفجر لا ييأس من أن يأتينى كل يوم •• يرسل نوره خلف ستائر حجرتى الوردية ••

حقا ستائر الحجرة وردية ، لون فراشى وردى هو الاخر ! ها قد أتت العصفورة اليومية لاحرك حدقة عينى اراقبها وهى تقف فى كل ركن من الحجرة ، فى الاركان الاربعة •• الطفل الصغير، طفل جارتى يصرخ كل يوم مع طلوع الفجر يصرخ كأنه ينتحب على •• اذن ساعة الالم تعلن عن نفسها ••

محال •• محال •• الى محـــال اليوم•• صدقنى أن صدرى يتمزق ، أنا أحس به يتمزق ، عاونى فى تناول الدواء •• أرجوك •• الزجاجة قريبة منك •• ناولنى اياها •• اياها القريبة منك ••

بهــذه الكلمــات كنت ارجو زوجى أن ينـــاولنى الدواء •• بهذه الانات المتمزقة أسأله ان يعطينى الدواء ، فما كان منه الا أن خرج من الحجرة وأغلق الباب جيدا بينى وبينه ••

احس اننى فى قاع تابوت له اربعة جدران ‥ خرج من حجرتنا ومعه ملابسه التى يجيد اختيارها الى حجـــرة منفصلة فى نفس دارنا الانيقة ‥ احسست بالعرق يتصبب من جسدى المسجى وبأن شيئا آخر قد خرج مع زوجى ‥

تناولت الدواء وسكن الالم ‥ فأخذت ألف وأدور فى دائرتى الصغيرة مساحة قدمين ذابلتين ‥

صمت ‥ صمت بينى وبينه ‥ صمت فى حجرتى ‥ صمت فى الدار كلهـا وأنا أتسـاءل لم كل هذا المحال ‥ محال ‥ فأنا اكره الصمت ‥ الصمت للقبور ‥ فقط للعدم ‥ الصمت شيء جديد على ‥ احساس دخيل ‥

بنظرة رميت الفراغ المحيط بى فلا أسمع الا طنين نفسى لنفسى وذلك الحديث الخالد الذى لا ينتهى ‥ أتساءل لم هذه العاصفة الخرساء التى بينى وبينه ؟‥

خرساء ‥ عاصفتنا دائما خرساء ‥ يا الهى أى حكمـة فى تخيره لهذا الوقت وقت الضعف والالم ليحس بثقل من أن يناولنى الدواء ‥

مفروغ منه ‥ مفروغ منه ‥ اننى مازلت شابة ‥

دقات متلاحقة كطرقات ناقوس كنيسة تعبت من استجداء الفضيلة من الناس ‥ انه زوجى يا لى من تعسة ، لقد عاد ليعتذر ، عاد ولم تمض علينا ساعات الا وقد عاد ‥

ابصرت صفحة وجهى المتعبة فى المرآة ‥ مرآة قلبى وتعطرت ‥

زوجى فى ضيقه الدائم ، فبادرته بالسؤال ولكنه لم يجبنى ، بل امسك يتكىء على سريرنا المهجور ‥ كانت ساقه تسبب له ضيقا كبيرا فى بعض الاحيان ، تبا لهذه الساق الخشـــبية ‥



هكذا تصر فى عناد الا ان تضايقه ·· فناديته سريعا حتى يكف عن النظر الى ساقه ·· فلقد كنت دائما وابدا لا احتمل ان أراه يطيل التحديق الى تلك الساق اللعينة ·· يطيل النظر اليها ساعات ·· وساعات بدون ملل ·· بدون انقطاع وكأنه يسترجع أسباب ومسببات هذه النهاية ··

نعم يسترجع عشر سنوات مضت منذ ان احتضنها وهما يهبطان الدرج ، يوم ان قرر ان يتزوجها ، ويوم ان اخذ بيدها يدربها على القيادة ، فى هذا اليوم بالذات وهو ما زال يلف ذراعه حول خصرها محاولا تدريبها ·· فى هذه الدقائق وثغر الاسكندرية فرح راقص بشابين فى ربيع العمر ·· لسبب ما قرر الثغر ان يضع حـــدا لضحكات الشابين ، قرر الثغر ان يلفظ الشابين كذنب فرغ لتوه من امتصاص عذراء ، فانقلبت السيارة فى قسوة ، وفقد الشاب بعضا من نفسه وبعضا من ساقه ·· عند هذا الحدث ويتـــوقف زوجى دائما ·· فقط منذ البداية حتى هذا الحدث كأنه يلقى كل ما بعد هذا اليوم من حياة وأيام وليال ·· ليل عرسنا مثلا بعد هذا اليوم بسبع سنوات ·· يوم تعارفنا فى بيت صديقتى فى ضاحية مصر الجديدة ·· أعجبنى فيه اصراره على الحياة ·· لقد كان يأبى دائما أن يساعده أحد فى أى عمل أثناء سهرتنا ·· وأحاطنى برعايته ، لقد كان يحمل الى المقعـد أينما سرت فى الحديقـــة ·· يجهز لى طبقا من الحلوى ·· على الرغم من بعد المائدة · أذكر تماما ·· لم اكن قد تخطيت الثامنة عشرة من عمرى بعد ، واصرار هذا الرجل يجذبنى اليه ·· وتلك النظرة التى تبدو فى عينيه ·· وشعيرات رأسه السوداء والبيضاء تمنيت أن أتحسسها بأناملى ·· فأنا أحب أن أجمع الليل والنهار معا ··

ولكنه على غير العادة رفع عينيه فى سرعة كبيرة من فوق ساقه ودفع الى بورقة وردية ، ورقة فى لون ستائرى ·· ! وجمـــودها ·· ثم قال : ان صديقتى زيزى سيعقد قرانها اليوم ، وهو يود من كل قلبـــه أن أشاركها فرحتها ··

بأصابعى المخذولة تناولت بطاقة الدعوة ، فلقد كنت أعرف من أيام هذا الموعد •• ولكن كيف لى يا عمر أن أخـــرج وأنا متعبة هكذا ؟؟ ••

فما كان منــه الا أن فتح دولاب ملابسى وانتقى لى أحـــدها ، وبنفسه بكل نفسه ، أخذ يخلع عنى ملابسى ويلبسنى ثوبى وأنا شبه مقاومة أحاول أن أثنيه ••

ولكنه كان المحال •• وضاعت محاولاتى الواهنــة فى خضم عاصفتنا الخرساء •• وبالفـــراء لفقت كتفى ، ونزلت مسرعة قبل أن يرى دموعى الغزيرة من عينى ••

وهناك فى بيت والدى طلبته ، فأجابنى الخادم ، وسمعت عبر الآلة هرجا ومرجا فى منزله لقد دعا أصدقاءه كالعـادة ليلهوا معا •• فطلبت من الخادم أن يعلن سيده أنى مريضة بالالتهاب الرئوى منذ أيام ••

فى دار أبى •• دارى أنا •• حجرتى وتلك المكتبة الصـغيرة مكتبتى •• هنا وهناك فقط كل شيء ملكى ، أشعر هنا أن لى بيتا خاصا ومكتبة تضم أكثر ما أحب فى هذه الحياة •• تضم ورقات أتعرف من خلالها على أحوال الناس ، تؤانسنى تسلينى لا أشعر معها بالملل •• مكتبتى غاصة بالكتب والقصص ، منظرها يشعرنى أنها أمهات لى وقد وقفن عاريات الصدور ، وكل واحدة منهن تخفف وحدتى وتمسح دموعى بثديها •• كل منهن تقدم لى ثديها •• مع مكتبتى لا أحس الوحدة ، أمد يدى أتحسس الثدى الذى أريد أخذه ففيه الدفء والسلوى ••

أنا لست وحيدة •• أنا مع أوراقى ••

فى هذه الدار تهالكت راقدة من حيث بدأت •• !!

لا تقدم سيدتى بالمرة اليوم أسوأ من أمس ولا أدرى لذلك سـببا أمى تبكى والطبيب يتعجب وأنا لا أفهم لماذا يصرون أن أحيا ؟؟

حقا لماذا يصرون أن أحيـــا ٠٠ مـــرارة تغلف طعم كل شيء حولى ٠٠ احساس مخيف بالضياع ، جسدى لا يحتضن روحى ، كلاهما بعيد كل البعد عن الآخر ٠٠ كلاهما يتعذب فى تلك البوتقة الضيقة التى صنعها زوجى ٠٠ أعود بخيـالى الواهن الى الوراء ٠٠ الى أيام بعيدة من سنوات ٠٠ يوم قررت أن أتزوج عمـــر ، والاهل والاصدقاء ملتفون حولى ، كلهم بأجمعهم يعارضـون ٠ حتى صديقتى التى رأيت فى بيتها هذا الرجل كانت تحملنى وحدى مسئولية اختيارى ٠٠ وكنت مصرة كل الاصرار ، أن أواجه العم والخـال ، وأواجه الاصدقاء بمنطق ولسان لا يعجزان ولا يكفان عن الدفاع والعناد ٠٠ وفى اليوم الثـالث من زفافى كان زوجى ، والله زوجى نفسه ، يلومنى ، يعنفنى يصفنى بالجهل والضياع ، لانى من بين الكثيرين اخترت أن يكون زوجى هذا الرجل ٠٠

أين كلامك يا عمر ؟؟ أين وقوفك بجانبى وأنا أواجه الاهل ٠٠ أواجه الدنيا بأسرها ٠٠ الآن انت نفسك تعاتبنى أنى قبلت الزواج ٠٠ الا تعاتب نفسك ؟ ٠٠ ألم يخطر ببالك أن تقف برهة لتسأل نفسك؟ لماذا لم تعاتبهـــا ؟؟ ٠٠

هذا السؤال دائما بلا جواب ٠٠ يبدو أنه سؤال بلا معنى ٠٠ أما أنا فدائمـــا انتهى اثر كل محاولة وكل حادث بأن أكره نفسى وأكرهها حقا - لا أطيق النظر الى وجهى الدقيق فى المرآة ٠٠ هذا الوجه اللعين لم يفلح أن يسعد أحدا أو حتى أن يسعد نفسه ٠٠

تقاطيعى دقيقة جدا تدل على غبـاء عظيم ٠٠ فأنا آه يا أنا ، لست اكثر من امرأة فاشلة مع من أحببت ٠٠

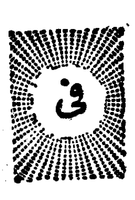
وتعاقبت الايام والليالى فى حجرتى ، يعاودنى الطبيب مرات ومرات فى اصراره الاعمى بأن أحيـــا ٠٠ وبكت أمى كثيرا ٠٠ أمى التى لا تعرف اليأس أو الاستسلام ٠٠ يبـدو لى أن اظافـر اليأس اخذت تمزق غشاء قلبها المقنع ٠٠

اما انا فانام اغلب ساعاتى ، ثم اقوم بخطوات خفيفة لاعرى صدرى واقف امام المـــرأة اتحسس باصابعى عظامى البـــارزة الكثيرة ، واعقد مقارنة سريعة بين ما كنت عليه من شهور وما انا فيه الآن ، فاخاف ·· اخاف هذه العظام الكثيرة ·· اخاف عيونى الغائرة وتلك الهالات الســـوداء ، فاظل الف وأدور فى دائرتى الصغيرة ·· مساحة قدمين ذابلتين ·· قدمين فاشلتين ، ثم اذهب على اطراف اصابعى واغلق باب حجرتى جيدا ·· أوصده تماما ثم امد يدى تحت وسادتى واخـذ اصبع الطلاء · ·أصبغ شفتى المرتعشتين وأسبل شعرى الطويل لادارى عظامى الكثيرة ·· انظر الى المراة من جميع الوجوه والزوايا ·· ابتسم ·· اصمت ·· احاول ان اقهقه ·· كل شىء اعمله لاجد فى نفسى ما يريح النظر ·· فباءت كل محاولاتى بالفشل الذريع ·· كل محاولاتى فاشلة ، ومن يومها احسست ان فشلى مركب ·· فلم ازد شيئا الا اننى تعمقت فى كراهية نفسى ··

العرق يتصبب غزيرا من جسدى ·· كان هذا الجســـد يبكى معنى كان فيه وبات بلا معنى ، وبلا غاية ولا هدف ··

بات ذكـــرى ··
بات عدما ··
وبات العدم لى وحدى انا ··

الفصل الثانى



حجرتى وحيدة ، حانت منى التفاتة •• التفاتة بلا هدف •• فابصرت الشاشة الصغيرة • أدرت الازرار ، النور يشع وأنا أحاول أن أتابعه •• الدقائق تمر بطيئة •• وعمرى هو الآخر يمضى بطيئا •• بطيئا •• كما انتهى ما بينى وما بين زوجى هكذا بطيئا هو الآخر ••

الوقت وذاك الذى كان بيننا يمران بملل كأنى أثقل على كاهليهما !!

كلاهما يلفظنى بقسوة وأنا لا أتمسك بأحد منهما

وفجأة أعلن المذيع باسما عن جولة فى مرسم الاستاذ خالد قبل ان أعى كلامه ، كنت فى حيرة من أمرى ، فما زال هناك أناس يبتسمون !!

وبنبرات قوية وابتسامة أوسع من الاولى ، أعاد المذيع قوله السابق ••

أعى كلماته ببطء •• خالد الفنان •• خالد ذاك الرسام •• وتابعت عيناى صورته وهو يجول بقامته الضخمة يعرض لوحاته •• يحكى قصة كل منها ••

خالد يستقبل زواره باسما ٠٠ خالد يشكر زواره بذكاء ٠٠ خالد يبتسم وانا فى جلستى أرد عليه ابتسامته ٠٠

وسرت رجفة دافئة فى أوصالى ٠٠ بصيص من نور وهاج يلمع فى مخيلتى محاولا أن ينير كهف صدرى الاسود ٠٠

إتحايل لاقوم الى مرآتى أرتب شعرى ٠٠ ! أغير ردائى ٠٠ !

وكانى على موعد مع خالد ٠٠ ذلك الفنان الكبير الذى طالما تمنيت وأنا طفلة أن أكون مثـله ٠٠ لى مثل ما له من ٠٠ ومن ٠٠ ومن ٠٠

لى لوحات ولوحات كثيرة معلقة تملأ جدران الحياة ٠٠ حياتى ٠٠ وحياة الآخرين ٠٠ دمائى ترتجف متهـادية فى بدنى الهزيل ٠٠ وانا ارتب شعرى الطويل ٠٠ وهناك على مكتب والدى أمسكت بالقلم وكتبت رسالة طويلة الى هذا الفنـــان ٠٠ أشرح له فيها ما انتابنى من فرح مفاجىء ! ٠٠ أحكى له قصة الرجفة الدافئة التى تملكتنى ! ٠٠ وذلك النـــور الذى لاح فى ظلمـــات قلبى وأنا أتابع البرنامج ٠٠

وختمتها بامضاء انسانة !! ٠٠ وظللت أحدق برهة فى كلمـة انسانة ٠٠ وأنا اتساءل : أعـــلى الرغم من كراهيتى لنفسى الا أننى أعتبر نفسى ما زلت انسانة ؟ ٠٠ أو أن رؤية خالد تجعلنى أشعر بأننى انسانة ؟ ٠٠

أغلقت خطابى الوردى وباصابعى الصفراء أعطيته للشـــغالة يا الهى ٠٠ يا لصــفرة أصابعى ! ٠٠ ومددت يدى المرتعشة التقط الزجاجة الحمراء أصبغ بها اظافرى وكانى ٠٠ وكانى على موعد مع خالد ٠٠

معجبة حقا منذ طفولتى بهذا الرجل ٠٠



يعجبنى أسلوبه فى الحياة ·· لفتاته ·· سكناته ·· رسوماته ·· حتى صوته يعجبنى ·· يشعرنى بالقوة ·· بالحماية ·· وشريط سريع يمر فى مخيلتى ·· أتذكره وأتذكر جلستى على ركبتى والدى أنظر اليه ·· أمعن النظر فيه بلا سبب مفهوم ··

ليلتى هادئة ، ولقد عاودنى الطبيب فى الصباح الباكر ·· كنت ما زلت فى اغفاءتى القصيرة ·· ولكنه فى هذه المرة كان يسأل عن أسباب هذا التغير ··

ها ·· ها ·· ها ·· طبيبى يتحسس وجنتى ويدى ، ثم يميل على والدتى يسألها ان كان زوجى قد حضر بالامس ·· ؟ يا لهذا الطبيب ! عفوا ·· عفوا ·· فمحال أن يأتى زوجى لو كان اليوم آخر أيام عمرى ··

وتجيبه أمى بأنه يكتفى بالسؤال عنى كل بضعة أيام ··
عفوا يا أمى ما رأيتك كاذبة هكذا ··

فلم تقبلى أن تقولى ان زوجى يكلف خادمه بأن يسأل عنى يوميا ولم يسأل هو مرة واحدة ·

ومن يومها وأنا أرقب تلك الشاشة الصغيرة المحببة الى قلبى ·· الشاشة الصغيرة جليستى فى وحدتى الكبيرة ·· !! لالتقط من خلالها أخباره ·· تحركاته ·· أسفاره ··

وأوشكت الايام أن تصبح رتيبة كما كانت ·· فلم يعد فنانى الكبير للظهور على الشاشة الصغيرة مرة أخرى ··

الشمس لا تطلع الا مرة واحدة ، ولكنها مرة كل يوم وهو لم أره منذ أيام وأيام !! ··

لم أحيا ولن ·· يا الهى ·· السماء البعيدة العالية ·· سمائى الغاضبة على ·· تصر فى عناد بألا تجعل للحياة معنى ·· أى

معنى حتى ولو كان مستمدا من انسان لم اره منذ سنوات ، منذ كنت صغيرة افضل كثيرا ركبتى والدى •• واختارهما للجلوس لارقب ضيوفه ومن بينهم الاستاذ خالد ••

وفى ضيقى كنت ارفع جبهتى الى السماء •• سماء الصباح الزرقاء •• وسماء الليل الساهرة الانيقة •• ولا اتصور أن السماء هكذا غاضبة على فى صباحها ومسائها ••

فى ليلى الطويل وعيونى التى لا تمل من النظر الى اناقة السماء

فى احدى الليالى التى كثر فيها تاملى لصديقتى الغاضبة ، كثر فيها سقوط الشهب •• وكنت فى كل مرة تسقط أحدها اطلب امنية ••
هكذا اعتدنا ونحن صغار ••

سقوط الشهب واناقة السماء ودعائى الدائم ، افرج بعضا من الكرب عن نفسى ••
شعرى الطويل •• ظلالى السوداء تدارى عظام صدرى وكتفى ، وانا اضيع الوقت باللعب فى هذه الظلال •• ومع هذا الضيق الذى يتسلل الى صدرى تدريجيا ، قلت لعل سطورى لم تصله •• أو لعلها وصلته وكان جزاؤها سلة المهملات ••

ولاح المرض لى من جديد •• فلا تقدم ولا طلاء لاظافرى •• وكأن الشهب هى الاخرى كانت تسخر منى •• !!

دقائق تمر بطيئة متكاسلة كفانية تصحو مبكرة مرغمة على التبكير ••

وفجاة اسمع امى تصيح :

ـ انت صغيرتى •• صغيرتى الحبيبة •• ما بالك شاحبة •• إن فنانك المحبوب •• فنانك سيتكلم الليلة بعد فوزه فى •• وفى ••• وفى •••

ـ ماذا ·· وأى فوز ·· وأى ساعة ·· ؟؟ !!
ـ أيتها الصغيرة بعد دقائق ثلاث ·· دقائق ثلاث ··
وعادت تلك الرجفة من جديد ··

عادت الى أوصالى مرة أخرى ، وجلست وحيدة أرقبه وهـــو يتكلم بصوته القوى ·· صوته الذى يشعرنى بالقـــوة ويحوطنى بالحمـــاية ··

أرقبه وهو يضحك وكأن الدنيا بأسرها تضحك ·· كأن الشمس عادت لتسطع من جديد على الكون ··

الشمس سامحت الارض وعادت تداعبها من جديد ·· وشمس قلبى أعادت اليه الحياة دفعة واحدة فى ختام البرنامج ، وهو يطلب من السيدة التى ارسلت له خطابا ذيلته بامضاء انسانة ··

يطلب منها أن تتصل به ··

لم أسمع بعدها كلمة ·· وشعرت بالحجـــرة تلف وتدور فى سرعة مذهلة فى محيط كبير ··
محيط الحيـــاة ··

وبأصابعى المطلية بالاحمر القانى أدرت القرص ··
الهاتف يدق فى اصرار ·· وأنا أنتظر أسمع دقاته الرتيبة ·· أسمعها بصبر ··

ثم جاءنى صوت خشن ·· فسألته عن الاستاذ خالد ·· وبعد ثوان أخرى كان خالد معى ·· ولكنه لم يمهلنى بل طلب على الفور أن أتصل به عن طريق رقمه المباشر ، وكان جوابه :
ـ أهلا ·· أهلا يا ·· يا انسانة ·· !!
ـ أهلا أستاذ ·· لست أدرى ما الذى دفعنى الى الكتابة و ··!!
ـ سيدتى ·· لقد قلت فى خطابك أنك حينمـــا شاهدتنى على الشاشة الصغيرة تعطرت وبدلت من ثيابك و ··
ـ حقا أستاذى ·· ولا أدرى لذلك سببا ! ··

ـ سيدتى انا لا اطلب منك تفسيرا ‥ ولكن هل لى ان اعرف اسمك ؟ ‥ حتى يمكننى الرد عليك فى الحلقة القادمة ‥

ـ الرد على بماذا ؟؟ !! ‥

ـ اشكرك ‥ احييك ‥ أتمنى لك شفاء عاجلا !!

ـ عفوا سيدى ‥ لما احب ان يعرف احد شيئا عن سطورى لك ‥ وكذلك اعفنى من ذكر اسمى ‥

ـ ولا رقمك حتى أتصل بك ؟ ‥

ـ ولا هذا ، اسفة جدا ‥

ـ سيدتى أشكرك ‥ اشكر لك صراحتك ولا تتأخــرى فى ان تحدثينى كلما سمحت الظروف .

ووضعت السماعة وقلبى ‥ قلبى الضعيف اكاد اسمع دقاته.

اسمع صرخات نفسى ‥ صرخة ‥ صرخة تؤنبنى ‥ تعذبنى ‥ لانى انهيت الحديث هكذا سريعا ‥ استرجع كل كلمة قالها خالد ‥ أسمع فى اذنى انفاسه ‥ كلمـــاته ‥ استفساراته وهو يحدثنى ‥

سعيدة ‥ سعيدة ‥ احدثه كل يوم فى الصباح وفى المساء ‥ استيقظ على نبرات صوته ‥ وانام على اوتارهــا ‥ كم احب هذه الاوتار ‥ احب كل ما تعزفه ‥

مرحة ‥ مرحة انا ‥

اغفو وبعض مؤلفاته بجانب سريرى ‥ وصورة له تحت وسادتى صورة بتوقيعه ‥ الى الانسانة التى تعذبنى ‥

تلك الكتب التى ارســـلها الى مع مربيتى حين ارســـل له زهـــورى ‥

مربيتى التى حاول معها جاهدا أن يعرف اسمى ‥ أو من اكون ؟؟ أو رقم هاتفى فلم تمكنه من ذلك حتى كان يقول لى : أنت ومربيتك كانكما من الســـماء تهبطان لتكلمانى ثم تصـــعدا مـرة أخرى ‥

انا نسيت زوجي ‥ نسيت تركه حجرتنا وانا اكاد اموت ‥ نسيت نظراته المتعضة الدائمة حتى محـاولاتي في ان استرجعه ‥ نسيتها ‥ لم اعد اسال الى اين يذهب وفي اى مكان من الارض يمضي لياليه ‥ لم اعد اهتم ان اكون الى جانبه في دعوات الاصدقاء والشركات لنا ‥ لقد نسيت ‥ نسيت كلماته اللاذعة ‥ نسيت ذمه لملابسي والوانها وحتى عطرى ‥

فلم يكن يحب في شيئا ‥‥

لقد نسيت انني امرأة مهجورة ‥ فقدت احســـاسي باهانات زوجي ونقده ‥ بنظراته التي كانت تشعرني أني تافهة ‥ اني جاهلة ‥ انى مخطئة حتى في زواجي منه ‥ لم تعد كلماته لها نفس الطنين الموجع في قلبي حين يقول :

ـ اذهبي وتزوجي من شاب في مثـل عمـرك لترقصي وتلعبي معه ‥ اما انا فيلزمني امراة في العقد الرابع من عمرها ‥

امراة وليست طفلة او مدللة ‥ ان ملابسك تشعرني انى انا المجرد من الملابس ‥ وشعرك هذا المسدل وكأنك صحوت لتـوك من مخدعك ‥

ما كل هـــذا ؟؟ ‥

حتى عيناك فيهما بريق لا يتفق وامراة محترمة تصلح لتكون زوجة ‥ !! لمن ؟؟ زوجة لى أنا عمر ، عمر من تتهافت جميـع الشركات على دعوته ‥ !

نعم لقد فقدت احساسي بكلماته ‥ لم تعد تحرقني كلماته ‥

فلم احاول ان احبس انوثتي خلف ستار من حديد ‥ !! وشعرى المسدل في طوق من قماش ! ‥ لا ‥ لا ‥ لم احاول ‥ فانا حتى لم أعد أرى زوجي ‥ !!

زهورى الحمراء ترسل الى خالد كل يوم مع بطاقات رقيقـــة كلها امنيات ‥

فلقد كانت امنياتي ••
كل امنياتي له وحده ••

زادى •• كل زادى •• صوته صورته واحيانا ضحكاته التي ترن فى افاق نفسى •• وهو كل يوم يعرف عنى الكثير •• فلقد احس اننى زوجة من تلك الاوقات التى احدثه فيها ، وعرف اننى اقرا كثيرا •• واهوى الرسم ••

عرف اننى زوجة مهملة ••
عرف ان زوجى يشعر بالضيق منى ومن ملابسى ••
وحتى من عطرى ••

عرف انه يدمن الشراب •• وعـــرف انه ينادينى باسم زوجته السابقة الهـــاربة ••

عرف اشـــياء •• واشـــياء كثيرة •• !!

وفى يوم ادرت القرص عن الرقم الذى احبه •• ولم تمض برهة حتى كان ينادينى :

ـ اهلا •• اهلا بالانسانة التى تستحل عذابى ••

ثم تغيرت نبرات صوته فجاة •• وانا لم انته من ضحكى بعد ليقول لى :

ـ اسمعى ايتها المراة •• لقد مللت هذا الغمـــوض المحيط بشخصيتك •• مللت كل هذا الابهام •• كل هذا الســـواد •• اليوم •• واليوم فقط •• هو الحد الفاصل بينى وبينك ••

خالد يصرخ طالبا اسمى •• وانا ارجو •• اتوســـل •• أن يغض النظر عن معرفة شخصيتى ارجوه •• اســـتعطفه •• أن ينتظر قليلا •• فانا زوجة ولا اريد ان تتخطى علاقاتنا اكثر من اسلاك تلك الآلة المحببة الى نفسى •• الآلة الحانية ••

خالد ما زال يتوسل •• بل ويجزم •• باننى ساصيبه بكل سوء ما لم يعرف اسمى ••

ساصيبه بالشلل ٠٠ او الموت حيا ٠٠ وانا ما زلت اتوسل لعله يقتنع ٠٠ فلقد كنت اخشى على زوجى ٠٠

فانا زوجة لرجل كما يقول ٠٠ رجل له اسمه ومكانته ٠٠ ايا كانت هذه المكانة !! ثم يقول :

ـ ماذا يا سيدتى مرة تخافين زوجك ٠٠ ومرة عائلتك ٠٠ وثالثة والدك ٠٠ ألبنة شيخ الازهر انت ؟؟

أنت ٠٠ وأنت فقط تستحلين عذابى ٠٠

وفجاة ادارت الدنيا لى ظهرها لتعيد الى حالتى الاولى ٠٠

احسست بالغربة والضياع ٠٠ فأنا لم أعد افرق بين الليل والنهار ٠٠

انى قطرة ماء فى شارع كله بلل ٠٠

فلقد أغلق الطريق بينى وبينه ٠٠

بردت الآلة السوداء الرهيبة ٠٠ وتقلصت الاسلاك بين أصابعى ٠٠ أمزقها ٠٠ اسحقها ٠٠ وأحيانا كثيرة اتحسسها ٠٠ !!

فلا اسمع شيئا ٠٠ ولا يجيب خالد بشيء ٠٠

انى ضعيفة ضائعة ٠٠ أدير عينى فى المنزل الذى لم أره من مدة ٠٠

أبحث عن شيء ٠٠ أى شيء ٠٠

فوقعت عينى على من تصورت أنى نسيته ٠٠

زوجى ينظر الى عفوا وانا أحملق فى شعره الابيض والاسود ٠٠ لعلنى افرق بين الليل والنهار ٠٠ ثم ارتمى فى صدره باكية وأنظر اليه ٠٠

أبحث عن ذلك الدفء الذى كنت أستشعره عبر أسلاك الآلة ٠٠ اتحسس وجهه وصدره لعلنى أطمئن ٠٠ اهزه ٠٠ ارجوه أن ٠٠

أن ماذا ؟ ٠٠ أن يشعرنى بوجودى ٠٠ يكيانى ٠٠ ولكن زوجى ٠٠ زوجى ينتفض كمن لدغته حية ليبعدنى عنه ويناديني عفوا باسم حبيبته الهاربة ٠٠

زوجي يبعدني ليملأ كأسه من جديد ، يغرق نفسه ويستغرق في الامه ·· في تلك الامنية اللانهائية بعودة الهاربة ··

أعاود الكرة وكلى أمل في تغييره ·· كلى حقد على نفسى ·· حقد على قدرى ·· محاولاتى يائسة ·· وزوجى يبعدنى عنه قائلا:

ـ مالك يا سيدتى أعدت مرة أخرى الى رعونتك السابقة ·· تمالكى مشاعرك ·· فلقد أعجبتنى فى تلك الآونة الاخيرة وقلت انك بدأت تدركين تصرفاتك ··

اه يا الهى اكان يعجبه بعدى عنه ؟؟ ·· للاسف كان سعيدا وانا بعيدة عنه ·· وعاودنى الاحساس الاسود اللئيم ·· الاحساس بالفشل المر ·· بالهزيمة ·· احساس يمزقنى ويفتت كيانى ··

فانسللت من جانبه فى هدوء ·· وعدت الى الآلة الجميلة ·· أستخرج منها الحياة ·· وأدرت القرص بالرقم الذى أوحشنى كثيرا ·· وهناك على الطرف البعيد كان يقول لى :

ـ الى ان تقررى وقف عذابى فالى اللقاء ·· وأغلق طريقى مرة أخرى ··

وفى مساء اليوم التالى كنت بعيدة عن الفشل ·· كان لى موعد مع خالد ··

حائرة ·· ولكنها حيرة من نوع جديد ·· أستعذبها ··

فانا حقا حائرة أمام هذا العدد الهائل من الملابس ·· أيها انفع للقائى الاول ·· الاسود ـ الاسود يعطينى عمرا أكبر ·· فانا لا احب ان أشعره مثلما يشعر عمر بأنى ما زلت صغيرة ··

وهناك فى داره ·· فى معبده ·· أستقبلنى ··

وهناك كذلك فى دنيا عينيه ·· أحسست بالدفء ··

أحسست بوجودى أنا ··

فانا لم أعد ضائعة ··

بشر ·· بشر نحن ·· كلنا خطايا ومن الخطايا ·· أما انا فلقد تخلصت من كل ذنوبى الا ذنبا واحدا ·· وهو اننى

أجلت لقاءنا هذا كل هذا العمر ٠٠ لقاء كانت تهفو اليه روحى من دنيا العدم ٠٠ لقاء أعاد الى انسانيتى ٠٠

خالد يحب شعرى ٠٠ خالد نفسه يفكك ذلك الطوق من القماش ليطلق سراح شعرى ٠٠ كان لقاء صامتـــا ٠٠ كلانا يحـــدق فى الآخر مبهورا ٠٠

خالد يحب شعرى ٠٠ غير ناقم على عينى ٠٠ وأنا أفرق بين الليل والنهـــار ٠٠

أنا ٠٠ أنا ملهمته ٠٠ أراه فى أمسيات كثيرة ٠٠ ويحدثنى عبر الشاشة الصغيرة ليردد على الملأ ٠٠ على الملأ ٠٠

أنه يحب الظلال السوداء ٠٠ خالد يكره الطوق فى شعر النساء

وأنا أجلس مزغردة سعيدة ، وأحيانا أجعل زوجى يتابع حديثه ويسمع آراءه فى بنات جنسنا يقهقه وكأسه ترتعش بين يديه ٠٠ وأحيانا تنكسب بين يديه ويقول :

ـ هذا الفنان رائع أكثر من رائع ٠٠ أفضل من أبيك ٠٠ أبوك أكاديمى فى دراسته للفن ٠٠ ولكن هذا الرجل لديه حاسة الفن ـ انه يعمل كفنان بالسليقة ٠٠ انه ٠٠ انه ٠٠

ما أشقانى فى هذه الدنيا الواسعة ٠٠ يا الهى النبض الراقص فى قلبى لا يدوم ٠٠ زوجى يطلب أن أسافر معه ومع شلته الضائعة لمدة أيام فى الاسكندرية ٠٠

رضا بك أحد أفراد الشــلة ٠ أحالوه الى المعـــاش بدون سبب جوهرى الا أنه لا يجيد العربية تماما ٠ فلقد كان والده يعمـــل أحد نظار الخاصة الملكية ٠ تغلب عليه اللكنة التركية والفرنسية فى الكلام ٠ كمـــا أنه لم يستطع أن يساير الزمن ويتنـــازل عن ارستقراطيته السابقة ٠٠ ولم تسعفه اللغة ليعبر بها عن ولائه أو على الاقل مسايرته للاوضاع الجديدة فى بلادنا كمـــا أنه وهو الاهم كان يمتلك شقة حوالى تسع حجرات وتطل على النيـــل فى

بقعة من اجمل بقاع القاهرة . فكان احالته الى المعاش مبكــرا خطوة اولى للاستيلاء على شقته الفاخرة مقابل اعادته الى عمـــله مرة اخرى .. واثناء عرض الامر عليه من احد المسئولين ، لم يكن يسعفه لسانه لتقديم ايات الشكر والامتنان وهو الذى اصبح يقيم مع والدته القعيدة فى احد بنسيونات القاهرة .. !!

ـ رضا لماذا لم تتكلم .. ؟ لماذا لم تحاول أن تدافع عن حقك فى دارك ؟ أو لماذا لم تأخذ وعدا صريحا بعودتك الى عملك ..

ولكنه وقف ابكم عاجزا عن الكلام ..

لا .. ..

لا .. يا الهى ليس عاجزا عن الكلام ، ولكنه مترفع او ربمــا خائف يدارى خوفه بالكبرياء ..

وتساءلت ايامها .. ولكن من أين لهم هـــذا .. من أين لهم هذا .. ؟؟

الا أن رضا بك اعتاد الفشل . رضا من قبل فشل ايضــا فى حب الاجنبيات الشقراوات ، وانتهى به المطاف الى أنه اصبح يكره الشقراوات والسمراوات معا ..

بهجت بك مقامر متأنق يهبط علينا كل مساء بعد منتصف الليل .. وحين أسأله يقول انه كان يوصل احدهم الى الضيافة .. !

احدهم فى الضيافة ..
الضيافة .. الضيافة كلمة عرفتها بعد ذلك .. !!

ضيافة من نوع خاص .. بين اربعة جدران ويجرد النزيل فيها من كل شىء .. واهم شىء .. وهو رباط حذائه .. خوفا عليه من محاولة الانتحـــار ...

يصرخ بهجت بك .. يصرخ بأناقة وهو يقول :
ـ اذا كسبت هذا الدور « من الورق » فلن أستضيف احدا .. حتى لو أمرت من .. ومن .. أو من الله نفسه ..

ولكنه عادة كان يخسره ٠٠ وكأنه بذلك يعطى مبررا لنفســه للقيام بهذه المهمة مرة اخرى ٠٠ !!

وفى يوم بعد القسم المعظم ٠٠ كسب الدون ٠ لم يخسره ٠ لم يخسره ٠٠ وبرق فى ذهنى وعده مضينا بالا يستضيف احدا ٠٠ وصرخت أذكره بوعده واضعة كلتا يدى على صدره عفويا ٠٠ فسكت عن الكلام وربما عن التفكير برهة ورقت ملامحه فقلت :

ـ بهجت لقد وعدت ٠٠ لا تتخلى عن وعدك ٠٠ ثم ٠٠ ثم هل هو مدان حقا ؟

وفى لمح البرق خبط بيديه على يدى وكدت اقع أمامه الا اننى تماسكت متشبسة بظهر احد الكراسى فى الحجرة فقال على الفور :

ـ الاوامر هكذا ٠٠ هكذا ٠٠ لانه كان « فارد قــوى » ٠٠ « فارد قوى » ٠٠

ـ ولكن ما تهمتـــه ؟؟ ٠٠

اقترب بوجهه وجسده الضــخم منى ، وعادت الرقة والاناقة تسرى فى صوته وهو يردد :

ـ مها هانم ٠٠ يا مها اولا يستضاف ثم نعرف التهمة ٠٠!

وبدا صوته اكثر رقة واناقة وهو يردد :

ـ هذه أوامر ٠٠ أوامر الا تقدرين عزيزتى ٠

ولم اكن اقدر ٠٠ لم اكن أستطيع ان افهم تماما ٠٠ ربما لاننى مشغولة بنفسى باحبــاطى الدائم مع عمــر ٠٠ بترددى مع خالد باشياء كثيرة ٠ فقال بهجت :

ـ مها لابد أن هناك أسبابا لذلك وليس سببا واحـدا ، ولكن دواعى أمن الدولة وما يجب أن تكون عليه من سرية تمنعنى من الكلام معك صغيرتى العزيزة ٠٠ وفجاة انطفا النور عن منطقتنا٠٠

وبدأ بهجت يتحسس يدى بيديه ، وفجأة عاد النور الى منطقتنا ، ولاحظ زوجى كل شىء ، وخبط برجله الخشبية المائدة الخضراء فى حقد ظاهر •• ولكن حين لبس بهجت رداءه الملائكى ، ثار على زوجى واتهمنى باننى أريد أن أفرق بينه وبين أصدقائه ••

فاروق ضابط آخر •• تولى ادارة ثلاث شركات بعد احالته الى التقاعد • كثيرا ما سألت نفسى وأنا أتأمل وجهه الذى يدل على غباء كبير !! كيف ينجح فى عمـــله ؟ هو وزوجى اتهمها بازدواج الشخصية ••

يلعبون الورق •• ويصيح هو الاخـــر ما رأيك ان كسبت هذا الدور يا بهجت •• ان كسبت هذا الدور ادفعه لك مضاعفا ، ولكن عليك أن تستضيف ذلك الابله الذى يعمـــل معى •• لانه يصر أن يطلع الوزير على حقيقـة الميزانية •• وأنت تعـــلم أنه لا يجوز اغضاب السادة الوزراء بحقيقة خسارة الشركات ••

فأقول :

ـ ولكنها الحقيقة يا فاروق بك •

فيقول فاروق :

ـ ليس كل الحقيقة تقال يا سيدتى •• هذا خطأ لك ••• ولكنه لا يعلن على المـــلأ ••

ـ ولماذا لا تظهرون الحقيقة •

ـ لان فيها ضياعا لى أنا شخصيا يا هانم ••

فيصرخ بهجت ضاحكا :

ـ أنا مستعد •• أنا جاهز ••

سيد بك عبد ربه كان اكبر من فى الشلة عمرا • وكان موضع ثقتى الا أنه لم يكن يجيبنى على أى سؤال الا بآية قرآنية ، وحين

احاول ان استفسره يرفض بحجة ان الرد على غـــير مستحب فى هذا الجو ‥ كما انه يلزمنى ان اغـــير من اثوابى واغطى راسى حتى يمكنه الرد على ، فكرهت سؤاله بعد يأسى المتكرر ‥

كان جامدا ‥ جامدا واذا تكلم ‥ تكلم عن التجارة كعمل معترف به فى القرآن الكريم ‥ وهو يمارسه فى ان يشترى خمسة افدنة من اصحابها الفلاحين الذين اعطتهم الدولة هذه الارض ‥ فهم لا يعرفون كيف يسيرون ارضهم او يخدمونها « على حد قوله » وان من اعطى نعمة وجب الحفاظ عليها والا فهو اولى بشرائها ‥

وفى يوم اكتشفت انه يطيل النظر الى ساقى وهو مازال يستغفر ‥

واخيرا الطالب الثائر احمد سعد ‥ مهندس يدرس للان ، كله براءة وطفولة رغم ثورته الدائمة ‥ يصطدم كل امسية بسيد عبد ربه يتكلمان عن الاشتراكية ‥ ويتهم سيد عبـــد ربه بانه يسلب الفلاحين الارض ، وهى ما يجب ان تكون مشـــاعا للجميع ‥ ثم يلتفت الى ويمسك الورقة والقلم ويحسب بخطـه الهنـدسى الجميل مصروفات الليلة وكل ليلة ، ثم يلقى علينا درسا فى الاشتراكية قائلا :

ـ ان ما هو امامكم الليـــلة فقط يامدام يمكن ان يعيش اسرة كاملة مدة شهر ‥ اين الاشـــتراكية ؟‥ اين عـدالة التوزيع يا مدام ؟

ولكنه حين احب واراد ان يتزوج اختـــار احدى بنات سيد بك عبد ربه ومال على وهو يقول :

ـ الى ان نتزوج ستصبح خطيبتى سعاد عبد ربه مالكة لاكثر من عشرين فدانا !! وكما تعلمين اننى اتجه او انوى الاتجاه فى حياتى بعد التخرج الى العمل فى المجال الســياسى ، وهذا يلزمه

استقرار عائلى !! حتى يمكننى الانطلاق ·· دون ان التفت خلفى!
فضحكت وأنا اتساءل :

- ما معنى ان تلتفت خلفك يا أحمد ؟

- اقصد البيت ومصاريفه والاولاد وما الى ذلك و ··

كانوا جميعا مرتبطين بهذا الطالب لسبب هام وهو انهم كانوا يدرسون فى احدى الكليات التى يحاضر فيهـــا والدى كمنتسبين وكان هذا الطالب يعكف على نقل المحـــاضرات لهم ·· وتحديد الفصول الهامة وما الى ذلك ··

وفى احدى ليالى الامتحان الاخيرة ، وكنت بينهم قبل ان يقرروا السفر الى الاسكندرية فى احدى هذه الليالى ، ولم يكن الطالب المعد بينهم ، وحين سألت عليــه قالوا انه مشـغول الليلة ، ثم فاجأنى بهجت وهو يقول :

- لقد سمعت انك اتية لتوك من عند السيد الوالد الآن ··

فقلت :

- هذا صحيح ·· نعم ·· نعم وقد كان مشغولا جدا ·

فضحك وهو يقول :

- الم تعرفى حول اى شىء ينوى أن يمتحننا فيه غدا · اقصد يعنى اى الابواب هى المهمة ؟!

فقلت :

- طبعا هذا محال فانا لم اره ··

وفى ثوان كان يردد اكثر سبعة اسئلة · ثم ختم قوله :

- والعهدة على الراوى ·· هذا ما عرفناه ان يكون محتملا ·

- ما عرفته من والدى ؟؟!!!

ـ بالطبع لا ·· ومالك قد امتقع لونك هكذا هذه مجرد احتمالات ·· مهما كانت السن صغيرة ·· فان العاطفة لاتعرف هذه الفروق ·· ومهما كان الفهم صغيرا ، فان الغريزة لا تعرف هذه الفروق··

فسحبت الآلة السوداء الى فراشي ، وطلبت والدى لاروى له ما سمعت ·· فضحك والدى ·· ولكنى احسست أن يديه الطيبتين تعصران الاسلاك بينى وبينه ··

وظهيرة اليوم التالى بعد عودتهم من الامتحان ، كانوا يتندرون بما فعله والدى ، فقد أملى على الخيمة كلها اسئلة جديدة ، وطلب منهم عدم الاجابة على الاسئلة الموضوعة فى الورق امامهم ·

وفرحت ·· فرحت من قلب مجروح ··

وكرهت الشلة من ذلك القلب المجروح ·

ثم تلاشى الفرح والكره من قلبى ، وبقى نوع غريب من الخوف ·· الخوف من ·· فمن المحتمل أن ··

من المحتمل أن يستضاف والدى هو الآخر ··

الشلة كلها تناقض ومتناقضات ··!!

ضائعون فى الوانهم ·· فى كلامهم ··

أراهم ضائعين حتى فى منطق صداقتهم بعضهم لبعض ··

وفى وسط هذا الخضم ·· فان هناك سحابة وردية من عبير وجدانه الصافى ·· سحابة تغلفنى ·· تطمئننى ·· لتشعرنى بأننى محبوبة ··

احساس رائع أن اكون محبوبة ··

نفسى معذبة ·· لقد جاء موعد الرحيل ·· وزوجى يلح على فى الذهاب ··

وانا آه يا انا ..

انا ليس لدى حجة قوية للبقاء .. ابقى حيث يشع الجو بانفاسه .. وأمامي الآلة الثائرة .. تناديني .. تلح على أن احادثه ..

سافرت بدون أن يعــلم خالد .. كانى اخاف ثورته .. اخاف غضبه على نفسه كما حدث فى مرات سابقة .. اخافه .. اخشاه وهو يقول :

ـ وتحرمين أصابعى من اللهــو فى محــراب شعرك الداكن ؟؟ ما أظنك يا غاليتى بهذه القسوة ؟.. ثم يقول :

ـ مها .. انت سمائى العاصفة .. تابى الا ان تحرم عابدا من ظلال محرابه الحانى !! وكيف لى فى اصابعى ؟ انا لن الهم طوال غيابك يا غاليتى .. فانى احس ان يدى عاجــزتان طوال بعادك عنى !!..

والله .. وحق عينيك .. انا لن أمس لوحة حتى مجيئك سالمة .. خفت من كل ذلك .. فسافرت دون أن يدرى ..

سافرت دون أن يدرى خالد .. وفى الطريق ســألت سيد بك عبد ربه عن أحمد فقال :

ـ الحمد لله انه لم يعرف شيئا . الا انه فوجىء هو الاخر بما أملاه عليهم والده .

فقال بهجت بك :

ـ احنا تعمدنا ابعاده هذه الليــلة . أصل الشــبان الثائرين اللى من نوع أحمد لا يؤتمنون مطلقا .

فقلت :

ـ الم يكن يعرف شيئا ؟

فقالوا فى نفس واحد :

ـ يا شيخه صلى على النبى • داه كان نفسه ابلغ العميد • دول شبان متهورين •

فقال فاروق مقاطعا :

ـ واعطانا درسا فى عدالة التوزيع وتكافؤ الفرص ••

فخبط سيد بك عبد ربه على فخذه وهو يقول ممتعضا :

ـ انا عارف كيف يمكن لابنتى أن تعيش معاه •• يا له •• كل شيء مكتوب ••

لاول مرة اصمم •• فانا اعرف ضعفى •• وأعرف اننى اعتدت الاستقرار •• اعتدت حياة الزوجية بحلوها ومرها •• ومع ذلك قررت ان اتمرد على تلك المعاملة •• قررت أن أحيـا •• وطالبته بحريتى •• فهاله منى ما رأى وما سمع •• فلقد كنت لاول مرة أتجرأ واخاطبه هكذا • وفى أى شيء ؟؟

كنت كالامواج تماما •• أصر فى عناد بالا اتكسر الا على صخرة طلب الحرية •• حريتى •• كرامتى •• فانا اصر ان أحيا ••

وزوجى يقهقـه كهدير القدر هو الاخـــر فى عناد •• ثم يلف لخصرى بذراعيه •• وينفث فى أذنى عباراته المحفوظة ••

وانا آبى استجداء الحب •• فاثور واكاد اتقيـــأ من شـفتيه الغليظتين المتمضتين •• وعينيه الضيقتين اللتين بت اؤمن انهما قد خلقتا لينظرا الى فى ضيق وجفــاف •• وربما فى ندم يلدغ مشاعرى ••

عيناه الضيقتان المحرومتان من الاهداب والحنان •• وشـعره الرمادى الذى احببته فى الماضى •• هو الاخر يلدغ مشاعرى •• فيذكرنى بالبحر وهو يتقيأ المياه الدنسة بعيدة عنه فى شكل رغوة رمادية ••

وانا مازلت فى اصرارى امامه وامامهم ..

والضائعون لا يعون شيئا .. بعضهم يؤيده .. والاخر يعارضه ولكنهم كلهم يبعثرون نصائحهم وارشاداتهم .. لعلنى اثوب الى رشدى .. الى نفسى .. الى حياتى الزوجية وصيانتها .. و .. و .. وكلام الناس ..

ولكنه كان المحال .. فمحال ان استمع الى نصائح هذا الخضم من البشر ..

كلام الناس .. هذه الكلمة الخـــالدة .. فالناس وتلك الشلة لا يهمها ان اتوسل وارجو وانا فى حالة من الاعيـاء ان يناولنى زوجى الدواء .. لا يهمهم ان انكسر كل يوم بلا صوت ولا دموع، وانا ارجوه ان ينسي ولو بعضا من ماضيه ويحيا بعضا من حاضره ..

لا يهمهم ان انطفىء ببطء فداء كلام الناس .. !!

محال .. محال وزوجى ضائع بين رنة الفيش ، وكأس حائرة .. بين نكتة محترقة يطلقها احد افراد الشلة وبين هذه الخمر التى بينها وبينه غرام لا ينتهى ..

لقد اثرت شجونه الدفينة ، ونبشت باظافرى المسمومة فى قبة جروحه القديمة ..

فبكى .. بكى الرجل القاسى .. ورأيت دموعه غزيرة ساخنة الحرق وجنتيه .. بكى حتى علا صوته ..

بكى حتى بكيت انا الاخرى .. وابتدا ضعفى يسرى فى اوصالى .. ذلك الداء الملعون داء التردد والتعود على الحيـــاة الزوجية الرتيبة عاد يراودنى .. ولكنى سرعان ما افقت حين بكى زوجى مرة اخرى وهو يرثى حظه العاثر .. وحبيبته السابقة واسباب هجرها له .. وتركها لحياته . وكذلك انا يا من كان يتصور اننى

طفلة غريرة لا أعى من أمر الحياة او من أمر نفسى شيئا •• فكمن نبش قبره بنفسه •• فقلت له :

ـ الم يكن هـــذا هو العيب الرئيسى فى ؟؟ الم تقـــل اذهبى وتزوجى شابا مثلك •• فانا اريد امراة فى العقد الرابع من عمرها وليست طفـــلة ؟ ! ••

فقال :

ـعفوا يا سها •• فأنت جاهلة لم تتعمقى فى نفسى •• فلقـــد كنت أقول هذا الكـــلام حتى أفهمك ، ان رحيلك أو بقاءك سيان عندى •• فانا لا يهمنى هجرها أو هجرك ••

وهنا دارت بى الحجرة سريعـــا •• واحسست نفسى ككرة من زجاج تتدحرج بين قدميه •• اذن زوجى يحيـــا معى ويتخيلنى ويخاطبنى على اننى أخراه الهاربة ••!!

وبات كل منا فى عالمه الخاص •• أنا أضيف الى فشلى السابق فشلا جديدا •• وأتلفت مذعورة فى الحجـــرة فلا اسمع الا تلك المعركة الخالدة بين البحر ومياهـــه •• ويعلو الصراخ والنزاع فأفتح باب الحجرة متعثرة لاقتحم عالمه الخاص ••

فأجده نائما فى هدوء !!••

عدت أدراجى الى القاهرة يلفح وجهى هـــواء رطب •• هواء يدغدغ تقاطيع وجهى •• هواء الحب •• فأنا ادافع عن نفسى امام نفسى فى قصية حبى ••

انا لم أعد متسللة •• لم أعد ابرر لنفسى اى لقاء •• اى كلام •• فانا أحيا والحق معى ••

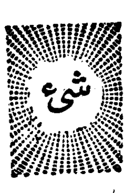
الم أتأكد من عدم احساسه بى وبانه سيان عنده والله رحيلى أم بقائى •• فانا لا أمثل الا حدثا معينا •• هو نفسه يخشى تكراره••

الانفصال العاطفى ٠٠ ما ٠٠ ما ٠٠ ما ؟

كلمة يرددها كثيرا هذه الايام ٠٠ عبارة تقام عليها احاديث بينه وبين الشلة ٠٠ عمر يتكلم عن مساوىء الانفصال العاطفى ٠٠ عمر يخلق المجادلات الكثيرة ليتكلم عن الهوة العاطفية ٠٠ يتحسس عمر وهو يخاطب شلته وترتعش الكاس بين أصابعه ٠٠ وهو يقوم بدون الواعظ بينهم ٠٠

له يا الهى لو يحاول أن يفسر هذه الكلمة لنفسه ٠٠ ولو لبرهة واحدة لعرف ٠٠ لعرف ٠٠ اننا نسبح فى بركان من الانفصال العاطفى ٠٠

الفصل الثالث



رائع ان اجلسه هكذا امامى ساعات وساعات ..
اتفحص كل عضلة فى وجهه لانقلها بفرشاتى..
وهو يقهقه عاليا .. ويقول :

ـ يا غاليتى الرقيقة اما يرضيك جلوسى هكذا..
لقد أوحشتنى هذه المدة .. أوحشنى محـــرابى
الاسود الفـــزين .. اقتربى .. اقتربى أميرتى
اتحسس ظلالى قليلا ..

ـ خالد .. أنت لا صبر لك .

ـ لكل شيء زاد .. وأنت زادى .. اقـــتربى
يا رقيقة ..

كان مجاملا لكل موقف كلمتـــه المناســـبة .. خالد ماهر فلا تفوته مناسبة الا ويعطينى فيها من روحه .. وأنا الاخرى زادى كل زادى بل دمائى التى تجرى فى عروقى من تلك الكلمات التى تنساب من شفتيه .. وتلك النظرات التى كان يحوطنى بها فى تقدير واعجاب .. ما شعرت قط بعمرى معه .. ما احسست بالفشل فى اى لقاء فى أى موقف !!..

فانا دائما اميرته المتوجة ..

أنا محبوبته الغالية ..

أنا شمسه التي لا تغيب .. ومع هـــذا كانت اعماقي ضجرة أمضي الساعات لاكمل صورته وتكون النتيجة انى لا أتقدم وصورته لا تنتهي .. وأصبحت لا أطيق هذا الضياع .. ضياع عمرى .. أحلى أيام عمرى بين زوجي وشلته وحبيبي في مرسمه .. اختلق الاعذار لاخرج .. وألفق أساطير لابرر تأخرى، حتى ملابسي أجلس الساعات الطويلة انظفها من بقع الطــــلاء قبل أن يراها زوجي وشلته ..

أنا ضجرة من كل شيء .. يدى ترتعش وتسقط الفرشـاة منى ومعها الطلاء فى بقع كبيرة على ثوبى الاسود .. بقع حمراء .. وسوداء .. بقع كبيرة وصغيرة .. بقع كثيرة من كل نوع وكل لون .. بقع داكنة .. بقع في قلبي ..

انحنيت التقط الفرشاة .. فانحنى هو وأمسك ذراعى بقـــوة وأجلسنى .. واقترب بوجهه الذكى من وجهى المرتعش .. وعادت حدقة عينه تحدق في عيني .. عينه فاحصـــة معاتبة وعيني قلقة هاربة .. وباصبعى تحسست رأسه .. فانا اخاف هذا الرأس.. هذا الذكاء اخاف ذكاءه .. اخاف حدقة عينيـه .. فلقد تعودت أن احيا بعيدة .. بعيدة جدا عن اقرب الناس الى .. أما معـه فكان ذكاؤه يفضحنى ويجردنى من كل شيء .. ثم يبدأ فى قراءة نفسى حرفا حرفا .. وأنا أقف مبهورة متلاحقة الانفاس .. أحبه أحيانا .. وأحسده أحيانا أخرى ، وفى لحظات كثيرة أرهبه ..

تسللت يده الحانية وباصبعه فك الطوق عن شعرى .. وأنا ما زلت راكعة على الارض من أثر التقاطى للفرشاة ..

كنت مرتعشة .. ضعيفة .. وفى ثوان .. ثوان قليلة .. كنت اقص عليه قصة صراعى مع زوجي فى طلب الحرية من تلك الحياة



التى كرهتها وهؤلاء الاصدقاء الذين هم فى الصباح اناس لهم أعمالهم الناجحة ومراكزهم البراقة ٠٠ وفى المساء ليسوا اكثر من ضياع ٠٠ بين رنة الفيش والآس ٠٠ وضحكة ضجرة ٠٠ ونظرة جافة ٠

ترى هل يضيعون هربا من صباحهم ؟ هل يضيعون انفسهم لينسى كل منهم ماذا فعل فى صباحه ٠٠ ويستعدون لصباح آخر يأمرون فيه ويؤمرون فيطيعون ٠٠ دون خوف أو حتى صحوة ٠٠

يا لامسياتهم الباهتة التى اضعت انا فى خضمها اياما من عمرى ٠٠ وأخيرا بيدى المثقلة امسكت الطوق الملم به ظلالى وظلالهم السوداء ٠٠ فلقد آن لى أن أعود ٠٠

فى مخدعى اتقلب حيرى ٠٠ واقوم قلقة فى الفجر ارتدى ثيابى ٠٠واذهب الى هناك ٠٠ امسك فرشاتى ٠٠ احاول ان اتم عملى٠٠ وأعود قبل العاشرة صباحا ٠٠

فزوجى لا يصحو من نومه قبل العاشرة ٠٠ أعد له القهوة واصبها مرات ومرات ٠٠ اجرى خلفه فى الحجرات ليشربها ٠٠ فكان منظرها يذكرنى بنفسى ٠٠

فانا والقهوة واحد ٠٠ كلانا يرتشفهما عمر فى ضيق وضجر ٠٠ ولكن لا حيلة له ٠٠ فالقهوة تساعده على ان يرتدى ثيابه ٠٠ وانا ٠٠ انا زوجته !!٠٠

يئست من اتمام لوحتى ٠٠ وكان مساء وثوبى عارى الظهر والاكمام وانا متدثرة بنسيج ابيض يحمينى ربما اكثر من عمر ٠٠

يحمينى من البرد والعيون التى ترى ٠٠ والتى لا ترى !!٠٠

وفى لحظات قررت أن اسدل النسيج على اللوحة على ان اعود

اليها فى وقت اخر ٠٠ وتصورت أن عودتى قريبة لا تتعدى أياما ٠٠
ولكن مرت الاسابيع وأنا أذهب كل يوم الى هذا المكان ولا أتسمها ٠٠

فلقد كنت كحبة لؤلؤ ٠٠ انفرطت من عقدها لتتدحرج على أرصفة مدينة مزدحمة ٠٠ فلقد سافر خالد وزهورى ذبلت فى بيتى وبيته ٠٠ وهدات الآله السوداء ٠٠ انخرست تماما ٠٠ وأنا سير ضائعة فى الشوارع وأذهب الى بيته أجمع حاجاته الصغيرة ٠٠ واشياءه الاصغر ٠٠ اصغر اشيائه ٠٠ أتحسسها ٠٠ أتنفسها ٠٠ فهى الباقية لى ٠٠

ويسخو على قدرى فاعثر على ربطة عنق ملقاة بين زهور الياسمين التى كان ياتينى بها كل يوم ٠٠

تبتسم لى الدنيا ٠٠ والقدر اعلم بما فى قلبى ٠٠ فادير الشريط عفوا ٠٠ فأسمع صوته ٠٠ ضحكاته ٠٠ انفاسه ٠٠ احيانا يعاتبنى وأحيانا يكلمنى ٠٠ وفى النهاية يحثنى أن اتم لوحتى ٠٠

عبر الشاشة الصغيرة كنت أراقب رحلاته ٠٠ استقبالاته فى البلاد التى زارها ٠٠ وارقب مرة أخرى نظرات النساء له ٠٠ نظرات الاعجاب ٠٠ وأقارن بينى وبينهن ٠٠ فلقد كان يلذ لى أن أرى هذه الهالة اللامعة البراقة تطوقه من كل جانب ٠٠ أتلذذ أن أعرف من صديقاتى انهن يتابعنه ٠٠

احببت المجلات لانه مادة حديثها المفضلة ٠٠ وأنا أحافظ على أن يبقى فى هذا الاطار أحافظ على الرد على الآلة السوداء ٠٠ صديقتى السوداء بعبارات رقيقة ٠٠ وأكثر من هذا فأنا أرسل للمعجبات كلمات حانية منه ٠٠

عبارات كلها امنيات ٠٠ ما حاولت قط أن أخرجه من هذا الاطار ٠٠ أو الملمه كله بين جدران قلبى أيا كان وسعها ٠٠

أحسب الساعات حتى الفجر لاسمع صوته عبر الاسلاك ·· سيكلمنى اليوم من أمريكا ··

والفجر يغالطنى ·· يحاورنى ·· فهو لا يريد أن يحرك عقرب ساعاته ·· وأنا أتعبت روحى من انتظار موعده ··

كان حديثه كما كان ·· قويا يسأل فى لهفة عن كهفه الاسود ·· وفى اهتمام يحثنى أن أعتنى بصحتى ··

وأنا دبت الحياة فى أوصالى ·· انبتت الارض الجرداء بعد طول انتظار للفجر ··

أعد ·· وأعد ·· بأصابعى المطلية بالاحمر القانى موعد عودته الفجر يضحك ·· ودموعه الغزيرة تقبل وتندى كل شىء ·· الارض ·· الشجر ·· وأزهارى فى بيته وفى بيتى ··

الفجر يترفق بى ·· الفجر يحبنى ·· فالوقت يعدو بسرعة ··

الوقت ضيق ·· وأنا لم أنته بعد من تنسيق بيته ··

لقد غيرت له طلاء الجدران ·· ووضعت الزنابق البيضاء فى كل الاركان ·· كتبه ولوحاته أعدت تنسيقها ·· وهناك فى أحد اركان البهو علقت لوحة له اتممتها ·· حتى الانوار غيرتها ··

فلقد كان خالد يحب الاضاءة غير المباشرة ·· كان يقول لى :

ـ أنت بتركك شعرك مسدلا هكذا ·· تلقين عليه الضوء بطريق خفى ·· يا غاليتى الرقيقة كم يعجبنى ليلك الاسود هذا ··

وعلى مكتبه وضعت صور له وقصاصات الجرائد التى اهتمت بجولته ·· وهناك على مقعده الاسود الكبير ·· على ذراع هذا

المقعد تركت ورقة بيضاء كتبت عليها أسماء سيداته اللائي اتعبن الصديقة السوداء بكثرة السؤال •• الآلة التي تعبت بيني وبينهن•

الساعة تقترب من العاشرة والطائرة تصل بعد ساعة تماما ••

وما زال شعري مبتلا •• وزوجي لقد اعجبته في هذه الايام السابقة •• لاني كنت مشغولة عنه •• تصرفني عنه كبريائي وتجديد الدار •• زوجي يصر في عناد ان يجعل سائقه الخاص يوصلني لصديقتي كما زعمت له •• عربته التي اكرهها كثيرا •• والتي كانت مثار حسد اقربائه هو •• !! فهذه التي لم يسمح لي قط باستعمالها الا حينما يريد ان يرسلني الى بيت والدي لـذنبي اقترفته •• وارسالها لي بمثابة الاذن والسماح في أن تطأ قدمي الدار من جديد ••

اليوم •• اليوم فقط •• ويا لك من قدر •• فاليوم فقط يقذف بأوامره عبر شفتيه الغليظتين المتعضتين •• بأن يوصلني السائق حيثما اريد •• وانا كفارة مبتلة تراوغ وحيدة في المصيدة رافضة العربة •• ولكنه اليوم يريد ان يبالغ في مجاملتي •• فلقد اعجبته في تلك الآونة الاخيرة •• وانا مشغولة عنه ••

وفي منتصف طريقي كنت اخذ سيارة اجرة متوجهة الى المطار •• وهناك جلست انتظره •• وانا اكره في نفسي هذا الكذب الذي احيا فيه وتلك المحاورة الدائمة بيني وبين زوجي ••

انا اكذب بشراهة •• بنفس الشراهة التي يشرب بهـا زوجي كأسه التي لا تنتهي ••

وفي ركن منزو جلست ارقبه •• ارقب عدسات الشاشة الصغيرة وهي تحاول أن تظفر منه بشيء عن جولته الاخيرة ••

لو اتوا الي لاعطيتهم اكثر مما يتوقعون •• ولكنهم لا يعلمون •• وانا ما زلت ارقبه ••

خالد فى صحة جيدة •• خالد نشط ••

خالد يجوب بعينيه المكان باحثا عن شىء •• ربما عنى انا ••

وبعد ساعة تقريبا ••

اطول ساعة فى هذه الدنيا ••

دنياى انا •• اتجه الى عربته حيث كنت جالسة ••

ووقف كل منا مرة اخرى يحدق فى الآخر مبهور الانفاس •• يتلاحق الدق فى قلبينا وقال :

ـ غاليتى الرقيقة •• ها قد عدت •• لقد اوحشتنى كثيرا •• ما اخبارك ؟ •• تكلمى •• تكلمى فى كل شىء ••

لم اجب •• كنت انعم بسماع اوتار صوته •• وتسللت يدى لتتعلق باصابعه •• وكنت احس خلالها بنبضات قلبه وخفقات روحه المحيطة بى •• وفى لحظات كان يرفع اصابعى ليقبلها ويتحسسها •• وفجاة قال :

ـ مها •• صحتك متعبة •• يدك ترتعش •• وعيناك •• وقد احببت عينيك تحوطهما هالة سوداء •• مها •• مها ••

وبدون رفق •• وبدون ماذا ؟؟ •• بدون كل شىء •• حكيت له كذبى على زوجى اليوم وقصة العربة والسائق •• و •• و ••

فاقترح ان ينزلنى فى منتصف الطريق حتى لا يعرضنى للوم •• ولكن كمن احرقنى كلامه •• فأحسست انه يعرض على ان يقذفنى من عربته فى وسط جمهرة من الناس •• لتدوسنى أقدامهم ••

احسست ان قلبى سلب منى •• القلب الذى لم يكن فى امكان أى قدر ان يسلبه منى ••

خطف منى عبر هذه العبارة .. فانا لا أساوى شـــيئا .. انا فى منعطفات حياته .. انا فى كل ما هو خفى وبعيد عن الانظار .. عن الحياة ..

وهو يخاف المشاكل الى هذا الحد يرهبها ؟! ..

العرق يتصبب غزيرا باردا على جسدى الملفوف بقسوة بالثوب الاسود .. وكانه يمنعنى من مقابلة خالد ..

خالد أحس بقلبى ربما من تلك الدموع التى انسابت من مسام جسدى المرتعش .. فاعتذر .. ولم يعتذر لى من قبل ..

واحسست الثوب يتسع على جسدى الساكن ..

الفصل الرابع



مغلق ٠٠ دارى مسدودة فى وجهى ٠٠ وزوجى يقف خلف الباب ليأمرنى بالعودة الى أبى ٠٠ ولكن فى هذه المرة بدون عربته الانيقة !! ٠٠ فأنا لم يعد لى مكان فى بيته ٠٠ أنا ولم يتكلم ٠٠
يا له من وقت خانق حرج ٠٠ موقف مؤلم أن يغلق فى وجهى باب بيتى مهما كان هذا البيت ومهما كان هذا الزوج !! ٠٠
وفى كلمات مقتضبه تشبه العـــواء كنت أرجو زوجى ان يفتح لى ٠٠ ولقد عرفت أنه اكتشف كل شىء ٠٠
العواء يعلو أحيانا ٠٠ وأحيانا أخرى يضعف الى ان يشبه المواء ٠٠ ولا تفتح الـــدار ٠٠ لا تفتح الدار ٠٠

قدماى التعيستان تقودانني الى الطريق الذى أعرفه تماما ٠٠ اليه مى معبدنا ٠٠ فى الدار التى صنعتها بنفسى ٠٠ قـــدماى تقودانني الى هناك ٠٠

مفزوعة ٠٠ مفزوعة جدا ٠٠ فالفجر كان يزف والســـاعة جاوزت الرابعة ٠٠ وفتح خالد بابه قلقا وعلى عتبة داره تحسسته

أستخرج الطمأنينة من بين شفتيه .. عينيه .. وربما من ذكائه الذى أخافه ..

ولكن لا فائدة .. لا فائدة .. ولذا جبنت من ان اكلمه .. من أن أروى له ما حدث واكتفيت بابتسامة بلا معنى .. محـاولة ان أشد بها رباط جاش نفسى الممزقة ..

وهو .. هو .. مذهول منى .. لا يفهم شـيئا .. وانا لم انتظر المصعد فنزلت الدرج كله بقدمى .. وبين الحين والآخر .. أرفع وجهى المرتعش اليه وابتسم امعـانا فى تضـليله عن الحقيقة التى دفعتنى الى المجىء اليه فى هذه الساعة ..

فلقد كنت أقدر تماما مع أى نوع من الرجال أتعامل .. الرجل الذى يحيط به الضوء من كل جهة .. الرجل الفنان .. فلم يكن سهلا على أن أحطم تلك القبوة الرائعة من الحب التى صنعناها معا .. وأخبره اولا بأول عن أشياء تزعجه .. كنت أخاف أن يتراجع فى حبه حين يكتشف كل تلك الاحداث التى تتوالى .. وسـتتوالى من جراء علاقتى به ..

وفى دارى أنا .. دار والدى كان كعادته .. قابعا فى مرسمه الكبير .. يرسم ويرسم ورفع الى عينيه الواسعتين الضعيفتين يرحب بى ..

انه والدى أحب الخلق الى ..

وتسلقت عيناى قامته القصيرة .. واستقرتا على يديه الهادئتين .. ان له أصابع عابد متصوف .. فلا عـروق خضراء .. ولا عظام بارزة تعلن عن نفسها فى قسوة كأنها تقول لكل من يراها :

ـ أنا تلك اليد التى أبدعت كل هذه اللوحات ، أنا هذه اليد صاحبة هذه اللوحات .. لا .. وألف لا .. فيد أبى تشـعرنى بأنى لو حاولت امساكها لامسكت الفضاء .. يد روحانيـة ..

كانها يد ملاك اتى لتوه من السماء ليرسم هذه اللوحات ثم يصعد مرة اخرى ..

ابى اجمل حقيقة فى هذه الدنيا ..

وتملكنى احساس غريب فى هذه اللحظات ..

احساس امرأة ممزقة .. امرأة مطرودة .. ومع هذا .. ومع كل هذا تحسد نفسها ..

هكذا انا دائما فى مواقف كثيرة .. مواقف شديدة .. أحسد نفسى على والدى

فلقد كنت فى يوم من الايام صغيرة .. يربت والدى بيديه على شعرى وظهرى .. اطعمنى بيـــديه واسكتنى بيديه الطيبتين ..

وصحوت من حلمى وانا واقفة امام ابى وهو يقول لى :

ـ مها .. مالك .. مها .. اتشعرين بشىء ؟ ..

وكان جوابى اننى جئت ابغى بعضا من الراحة والهدوء .. ثم انسللت الى حجرتى انا فى الطابق العلوى .. والقيت بحقيبـــة يدى على السرير .. وتنفست الصعداء ..

انا هنا احس ان لى بيتا ملكى انا ..

وجاء الرجل الانيق فى اليوم التالى .. جاء زوجى ومعـــه مجموعة كبيرة من الخطابات لخالد .. وسوار كان قد اهداه لى ويجمع بين حرفى اسمينا .. ولقد نسيت فى غمرة انشـــغالى أن اغلق صندوق مجوهراتى قبل مغادرتى بيته فى تلك الامســية .. وكان كعادته دائم العبث فى ذلك الصـــــندوق بحثـــا عن أى شىء يصلح له !!

فالقى على راسى بادلة اتهامى .. كمن يتقيا شيئا اقلق معدته .. وبعد أن هدأ ، واستعاد انفاسه المضطربة القى على بالدروس الرادعة .. واتهمنى بكل ما يمكن وبكل ما لا يمكن مطلقا .. !!

ولم يكن يضايقنى انه عرف شيئا ، ولم افكر فيمـــا عسى أن يتهمنى به هو والشلة الضائعة ·· كل ما اهمنى احساس والدى ·· وتلك الاتهامات الباطلة التى كان يقذفها على عمـــر ·· فلم أحاول أن انفى شيئا مما اتهمنى به بل واجهته صراحة وقلت :

ـ ألم تظهر لى فى كل مناسبة عدم اقتناعك بحياتنا ··
وقلت لى :

ابحثى لك عن زوج فى مثل عمرك ليجرى ويلعب معك ·· ومن شهور فقط كنت تسحبنى من يدى لتقتل فى اعماقى نبضا جديدا ·· كنت تجرنى للطبيب المـــرة تلو المرة بلا رفق بحجـــة انك لا تحب الاطفـــال ··

وأنت ·· انت يا رجل قصصت على مدى الملك ·· قصصت على وأنت تبكى بحرقة مدى أسفك حين تعمدت زوجتك الهاربة هـــذا العمل من قبل ·· لم تمر مناسبة واحدة الا وتتذكر هذه الحـــادثة ·· وتقص على القصة من جديد ··

وانا ماذا كنت تريد منى يا عمـــر ؟ ·· لقد تبعت نصـــحك وبحثت فأنا لا أنكر شيئا ··

زوجى ينظر الى فى دهشة ·· ثم يرفع حاجبيه عجبا ·· فيذكرنى بزورق تائه فى عرض البحر ··

ولكن ما فائدة حيرتى ·· والى أى طريق يمكن ان توصل ··

لقد فقدت بيتى وزوجى ·· وعشت أياما قابعة فى حجـــرتى وحيدة ·· منزوية ·· أهرب من نظرات والدى الحـــارقة ·· نظراته الصامتة ··

أهرب من رؤية يديه الطاهرتين ·· اللتين لم اعـــد أستحق مرورهما على ظلالى وظهرى المتعب ··

وللدى لا يكلمنى .. ولكنى احس بالخـــزى .. احس ان عينيه تسائلاننى :

ـ يا فتاتى .. الم تجدى من بين رجال العالم اجمع غير خالد .. الم تجدى غير تلميذى ! ؟؟ »

ايامى سوداء مثل اثوابى تماما .. مثل ظلالى .. وخالـــد لا يسال .. خالد لا يسال .. وانا اعذب نفسى .. احللها .. انبيها .. ثم اسقى بها شجرة الياس فى قلبى ..

مات كل شىء فى نفسى .. ماتت الامانى .. خمدت الاحلام .. وذهب كل شىء ..

تغيرت .. تغيرت كثيرا .. لم تعد تثيرنى كلمات زوجى الجارحة .. وعمر يلاحظ هذا التغيير فيصرخ قائلا :

ـ يا لله من امراة .. انت لا تحاولين حتى الدفاع عن نفسك ؟ من اى طينة خلقت يا امراة ؟

ـ انا من صنعتها انت ..

انا من هجرتها انت ..

انا من كرهتها انت .. انا من لم تحس بكيانى يوما ما .. انا من خاصمتها يوم مرضت .. انا لا شىء ..

فيهب صارخا ويخبط برجله الخشبية ارض الحجـــرة .. ثم يعود للصراخ مرة اخرى وهو يضغط على مخارج الالفاظ قائلا :

ـ انت تستحقين ما كان منى ، انت كونت علاقة برجل آخر ..

ثم يضيف وهو يمعن النظر الى ساقه :

ـ انت فعلا لا تستحقين الا ما كان منى .. لقد كنت متوجســا منك خيفة .. فكنت اصر على معاملتك بهذه الطريقة ..

وفى غمرة كلماته القاسية ونظراته اللانهائية الى ساقه الخشبية وهو يدق بها على الارض ويسترق السمع الى دقاتها فى حذر وكأنه يسمع عزف الة تاتى من اعماقه ..

فى خضم كل هذه الانفعالات المختلفة نادانى باسم الهاربة ..
نادانى باسم زوجته الهاربة ..

حتى فى هذا الموقف على قسوته لا يتخلى عنها مطلقا .. هو هكذا دائما فى اى انفعال لا ازيد عن كونى حدثا فى حياته يخاف تكراره ..

ثم تركت له الدار نهائيا خالية من كل اثر لحاجاتى الشخصية فيها ..

احساس مخيف من يوم أن تركت بيت زوجى .. وبقايا احساس لئيم يتلوى فى اعماقى .. احساس بالخوف من خالد كان يزداد يوما بعد يوم .. فانا لم اجرؤ على ان اواجهه بما حدث لى ..

انا .. اه يا أنا .. انا اجبن من مواجهة اى تهرب من خالد ..

كنت اود ان احيا عبر احلامى التى صنعتها بنفسى .. فلم يدر مما حدث شيئا ..

هو غارق فى أعماله فى اسفاره .. فى تلك الهالة المضيئة حوله .. الهالة التى تحجبه عن عينى وتوسع الهوة بين وقفتى هكذا كالذبيحة المحتضرة وبين الآلاف من أصدقائه .. من مريديه .. من تابعيه ..

التردد كلمة لها الاف الابعاد والمعانى .. كلمة لها معناها العلمى فى كتب المدرسة .. ها .. ها .. ها .. التردد وسعة الاهتزاز وارتباط كل منهما ببعض ارتباط وثيق .. ولكن انا فى غربتى هذه .. فى ضيقى الدائم أحس أنى خلقت للكلمات معانى جديدة .. تتعارض كلية مع ما قاله أساتذة الطبيعة السابقون ..

نعم أحس أن كلا من التردد وسعة الاهتزاز لا ارتباط بينهما ..

فاننى اتردد مئات المرات وبسرعة فائقة ، ومع ذلك فسعة اهتزازى واسعة جدا ..

وفى كل مرة تتسع الى ان اصل الى بيته لالف وادور هكذا حوله كقطة تبحث عن ذلك الذى انتزع منهـــا صغارها قبل ان تلعقهم وتنظفهم من آثار ولادتهم الحديثة ••

ثم اعود الى حجرتى وحيدة ••

قلبى يبكى ••

ظلالى تبكى ••

احس ان داخلى يموء •• اغوار نفسى تموء •• ربما اشد مواء من تلك القطة التى سلبت أولادها ••

فلا نتيجة من سرعة التردد وكثرته ••

والالة الصديقة الســوداء •• ترن فى اصرار •• وانا انكـــو وجوى من كل الناس ••

وطلبتنى احدى الصديقات اكثر من مرة فى كل دقيقة •• وبين كل دقيقة ودقيقة تطلبنى ••

وسمعتها تعاتبنى فى قسوة لا تريد ان تسمع منى دفاعا ••

فلا دفاع لى •• ولا داعى لان اتكلم •• لا داعى لاى شىء !!!•

لان •• لان عمر مريض •• مريض جدا ••

ثم توالت الصديقة السوداء الحائرة على بالدق لتوصلنى بكل من رضا بك •• من زهد فى الشقراوات والســمراوات معا •• وبهجت ذلك المقامر الانيق •• وهو يحاول جاهدا مع احبال صوته ونبراته •• ان ياخذ دور الواعظ •• وينصحنى برؤية عمـــر •• ولا ينسى كالعادة ان يعرض خدماته بالحضور وتوصيلى الى هناك ••

فاروق بك •• بشخصيته المزدوجة •• لا ادرى كيف يتولى ادارة كل هذا العدد من الشركات •• فاروق بك وزوجى •• كـــلاهما يجعلنى اتساءل كثيرا واقرا كثيرا فى علم النفس •• فكلاهما يتمتع

بشخصية ناجحة الى حد ما فى أعمـــاله •• الى ان يأتى المساء فأرى فى كليهما السقوط •• والضياع •• و •• و ••

ولم ينس سيد بك عبد ربه أن يستغفر ربه مئات المرات قبل ان يخاطبنى ويسمعنى عبر الاسلاك •• صوت المسبحة التى يسبح بها •• ويتحيل ساقى ••!

اما الطالب احمد سعيد •• فقد تزوج من فتاته وجرفه تيــار الحياة •• ولم يكلمنى ••

وأنا بجوار سريره ومجموعة من الاطباء تتكلم •• تتهامس•• ثم تلقى بالنتائج هكذا دفعة واحدة فى وجهى •• تلقى بلا رحمة •• بالانباء فى وجهى ••

نسيت كل شىء •• أصبحت كاناء فارغ تبخر ما به فى ثوان من جراء لهيب الانباء المريرة ••

نسيت كل شىء •• كل شىء ••

نسيت حقدى •• ألمى ••

وجثوت بجوار سريره •• بجوار قدميه ••

أبكى •• وأتحسس ساقه مرة •• ثم أتحسس الساق الخشبية مرة أخرى ••

تتساقط دموعى كبيرة ساخنة من عينى ••

كيانى كله يبكى ••

ظلالى السوداء تبكى ••

أرفع وجهى لارى العيون •• عيون اقاربه تبحلق •• تحدق فى •• تحرقنى تلسعنى باستفساراتها ••

كلهم يقدمون خدماتهم •• كلهم يقسم أن يجلس بجوارى ••

الى أن حل المساء •• وابتدأ الجمع ينفض من حوله •• كل واحدة منهن تعود الى بيتها •

احداهن تخفى زوجها المهندس !!

والاخرى تغار على زوجها ·· فتذهب لتضـــبط دخوله عتبة البيت ·· والثالثة ·· والرابعة ··

الاولى لا تنسى كالعادة أن تحكى أمام عمـــر ·· وأمامى قصة خطيبها السابق الذى صفعته على وجهـــه ايام شبابها ·· هذه المراة لا تكل من ان تروى فى كل مكان ·· وفى كل زمان قصة ذلك الخطيب البائس ·· لتدلل على رجاحة عقلها الذى تعتز به تماما··

والثانية ·· انها امرأة لا يعرف قلبها الحقد ·· ولا تتعامل معه مطلقا ·· لست ادرى لماذا مع نصاعة قلبها هذا لا تحاول أن تصفح عن تلك الثوانى التى يتاخرها زوجها ·· وهو يطأ بقدميه عتبة الدار محتضنا لها بعض الفاكهة بيد ·· واليد الاخرى تحتضن بشدة واخلاص زجاجة دواء لوالدتها ··

كلهن مثل الحداة تماما ·· فى الصباح تنهش فى شىء ·· فى أى شىء ·· ربما فى جسدى أنا المتعب ·· وفى المساء تعود الى وكرها لتحتمى وتتزود بالزاد الكثير الذى يعينها فى اليوم التالى أن تبدأ نشاطها من جديد ··

فهن فى المساء يستجدين أزواجهن ·· وفى الصباح ينفثن سموم الفشل فى جسدى أنا ··

كان الموقف حرجا جدا ·· ولكنى عـــدت الى بيته بدافع من حياتنا السابقة ··

فليس أمامى الا أن أعود له ····!!

ما تصورت قط أن نبأ مرضه يزلزل كيانى وأنا أحاول جاهدة أن أتناسى خالدا فى خضم معركتنا ضد المرض ··

الحرارة ·· الحرارة ·· هذه الكلمة تحاورنى ·· تنتقم منى ·· ترتفـــع وتنخفض ·· ولا ترتفع ولا تنخفض ·· هذه الكلمة تشقينى وتسعدنى ·· وتحبسنى فى دائرتها اللانهائية ··

يا لضعفنا .. كلنا حيـــارى امام بضعة احرف تكون كلمة « حرارة » .. والحرارة تعرف ماهيتها .. فتحيرنا وتشتتنا ..

واللحظات الحرجة تجمعنا .. تقوى رباطنا .. تضاعف سمكه .. حتى يخيل الى انه لا يمكن ان يتمزق مرة اخرى ..

عمر راقد فى سريره .. يبتسم لى .. كانه يتعرف على لاول مرة .. يرقبنى بعينيه اللتين خلقتا لترقبانى فى صمت وهدوء ..

عافت نفسه الشراب .. فانا كما يقول كأسه التى لا تنتهى ..
انام بجواره .. احس انفاسه المضطربة تلفح رقبتى .. كانه طفل عثر على ثدى امه ولتوه فقط ..

لحظاتنا المحتضرة تتكاثر .. كلها ايام فقط وتجرى له الجراحة .. وبعدها يستطيع عمر ان ينام .. واحس بانفاسه الدافئة تلفح رقبتى .. ولكن فى هذه المرة انفاس هادئة مستقرة ..

وانسلخنا من دارنا .. وطئنا الى الخارج لاجراء جراحته ..
كنت اسمع قلبى يسالنى فى شىء من الاصرار عن خالد .. خالد ..

نار .. نار تحـــرقنى .. نار فى قلبى .. فى عقلى .. فانا لا اطلب شيئا الا عودة عمر سالما .. ما اريد خالدا ..
خالد له كل شىء ..

اما عمر فمسكين هرب منـه كل شىء .. كمحـــاولة لرجل ان يمتلك قلب غانية .. عمر مسكين .. هذا الرجل .. فانا كأسه التى لا تنتهى ..

ومع ذلك السائل الذى صبوه فى ذراعه .. نام .. نام .. نام .. وذهب بعيدا .. بعيدا .. بعيدا عنى .

ساعاتى سوداء احتضن فيها قرانى بين يدى .. اقرا واقرا .. عينى تقرا .. قلبى يقرا ..

ثم اجثو على ركبتى .. اتضرع واطلب من الله ان يعيد الى عمر..

مفزع .. مفزع منظره .. مفزع أن اراه هكـذا ممـددا كجثة بلا صاحب .. ممددا عاريا من كل شىء ..

وثوبى احمر يعكس الضوء فى عينيه .. فيتابع بلا وعى ردائى .. ثم اشد من شعرى احد الشابك لامس قدمه .. فلا يتحرك .. اثقل يدى عليه .. ولكنه كان بلا حراك ..

فخرجت مذعورة انادى الطبيب .. لاعيد امامه حركتى .. وهو لا يجيبنى فى رقدته .. واتمتم بعبارات احاول بها ان افهمـه ان زوجى لا يتحرك .. ولا يحس .. فهل يا ترى ماذا ؟ ايعقـل ان يكون قد ؟!

كل ما اذكره أنه اخرج من جيبه قرصا وقدمـه لى لاشربه ..

ثم سحبنى من يدى فى رفق وهو يلقى عليه نظرة فاحصة ..

وفى مكتبه الشديد البياض .. كنت اكثر هدوءا من اثر القرص .. وافهمنى اننى فى حاجة الى الراحة الطويلة ..

لاننى بدون ان ادرى .. كنت اتحسس قدمه الخشبية .. وكان من الطبيعى الا يجيبنى ..

احسست الحجرة البيضاء تدور فى سرعة فائقة .. وايقنت ان الارهاق اخذ منى كل ماخذ ..

يوم ثالث بعد الجراحة .. وعمر يعى تدريجا .. يناديني .. يتحسس يدى .. يقسم انه يحبنى !!..

وبعد ايام .. كنت اتجـول معه فى الشـوارع والازقة .. شوارع غربتنا .. واضغط على كفه القوية .. استخرج منهـا الطمانينة ..

فلقد شفى عمر .. وعاد قويا معافى .. عاد كما !

وعدت انا •• افرق بين الليل والنهـــار •• من خلال نظراتى المتعبة •• فى شعره الاسود والابيض ولكن ••

اللحظات المرتعشة جمعتنا ••

واللحظات السعيدة فرقتنا ••

واكثر من ابتسامة جعلتنى احس غربتى ووحدتى ••

وضحكات كثيرة له جعلتنى لا افرق بين الليل والنهـــار وانا اتأمل نفس شعره الاسود والابيض ••

لان •• لان عمر عاد ليناديني باسم ماربته من جديد ••

وكانت لطمة عربيدة جعلتنى اكاد اترنح من فرط قســوتها •• ان اكتشف انه كما كان دائما لا يعى من انا ••

فاصبحت كعقد جمعه بيده •• ثم عاد ومزق خيطه من جـــديد ليتركه هكذا مبعثرا هنا وهناك ••

وصممت ان الملم حباتى بنفسى •• حبات عقـدى أنا •• عقدى المرفوض ••

وفى وطننا •• فى داره •• التقت الشلة الضائعة من جديد•• فاروق بك •• والدموع تترقرق فى عينيه •• يحتضن زوجى فى حنان بالغ ••

وفى آخر الليل •• يسأله بسخف :

ـ هل حقا سافرت للخارج أم لا ؟؟

فهو كما هو معروف لدى مزدوج الشخصية •• له نجاح الى حد ما فى الصباح أثناء عمله •• وفى المســاء هكذا لا يدرى من أمر نفسه شيئا •• أو من أمر عمله شيئا • ولا يبقى عالقـــا فى رأسه الا كلمه الضيافة •• الضيافة ••

واعود انا لاتساءل من جديد ·· كيف يؤدى هذا الرجل عمله ؟؟

بهجت بك ·· والابتسامة تملأ وجهه الانيق ·· ويداه ترتعشان ·· وهو يرفعهما الى السماء ·· يشكر الله على سلامة وصول فرحى ·· ويحرض على ان يوصلنى بعربته الى اى مكان فى الدنيا !!!··

اقول له ضاحكة :

- حتى لو كان مكان للضيافة ··!!

- حشاك الله و ···

ليقاطعه فاروق بك :

- ليه يا عم ادهما واكثر غايتها تهمة بسيطة زى خيانة الوطن او اليسار او اليمين او الاقطاع او من اين لها هذا او ·· او التامر لقلب نظام الحكم او ··

اضحك ·· اضحك ·· اضحك وانا ارى بهجت بك يشحذ كل اناقته فى ان واحد ·· وهو يعترض على عربته ·· بهجت بك يستنزف اناقته باستمرار ···

عمر اه يا عمر ·· يا لك من رجل يجيد تصديق الناس الا انا ···

انقل عينى بين تقاطيع وجهه ·· احدق فى عينيه لارى منتهى الرضا والسعادة ·· اراه سعيدا ·· وهو يرى اصدقاءه ملتفين حوله ·

ويبدأ ليلنا الطويل مع هذه النخبة من الرجالات من جديد !!

واستأذن منهم لادخل حجرتى ···

احاول ان انام ··

او ربما اطلى اظافرى بالاحمر القانى ···

او ابتلع اقراصا مهدئة ·· فانا احاول ان انام ··

اه يا ليتنى استطيع ان استنزف النوم كمـــا يستنزف بهجت اناقته ··

ولا ادرى لاى سبب عادت صورة بهجت تملأ مخيلتى وتستحوذ على تفكيرى واتساءل فى نفس السؤال الملح ؟

ـ كيف يؤدى هؤلاء الرجال اعمالهم ·· والى اى حد استوعبوا فكرة ازدواج الشخصية ··

ثم فجاة برزت فى مخيلتى صـــورة زوجى وهو ينتحى جانبا ببهجت بك واعدا اياه ان يكلمه فيما بعد ··

افكار ·· وافكار بلا هدف معين تؤرق مضجعى ·· حجـــرتى الوردية تفتح على شرفة كبـــيرة ·· وفجاة اســمع صوت اقدام اعرفها جيدا ·· فهى لزوجى وبهجت ··

يا الهى ·· حتى دقات وقع اقدام بهجت انيقـــة كعـادته فى كل شيء ··

اصواتهما تتهامس ·· ثم تعـلو وتنخفض ·· وانا تسرى فى اعماقى رغبة كبيرة لاستراق السمع ولم لا ؟؟

ربما كان دافعى الضجر او الفراغ او عدم وجود زجاجة طلاء لاصابعى ·· ولكنى على اى حال اريد ان استرق السمع اليوم ··

ها ·· ها ·· ها ·· لابد ان عمر يكلمه عن ماريته ·· زوجته السابقة ·· ولكن لماذا لا استرق السمع ؟··

وشعرت مرة اخرى بحجرتى الوردية تتهاوى فوق رأسى بقسوة كبيرة ·· جدرانها تضيق على ··

جدران تابوتى الوردية اللون فى لون دم عـذراء ·· فى ثورة حيوان وحشى ··

وملأنى مرة أخرى احساس باننى عقد انفرط من صاحبه فى زحام طريق .. فدائما وابدا تصيبه نعال الاقدام ..

الثقيل منها .. والخفيف .. ولكنها كلها نعال ..

لقد كان عمر كعادته يروى تفاصيل علاقتنا الزوجية لبهجت ..

الرجل الكهل المجرب .. هكذا كانت عادته ..

ولكنه يا الهى .. لكنه فى هـــذه المرة .. أضاف أنه يشـعر بالضيق منى كزوجة .. وانه يعطينى حقى مكرها .. لانه حقى ..

وأجفلت من وقع الكلمات الحارقة .. فاتكأت بظهرى على زجاج الشرفة .. وأحدثت بعضا من الضوضاء ..

عمر فى شهوة الكلام مع بهجت .. كامرأة تعترف أمام القس .. لم يشعر بى مطلقا .. ولكنى لمحت بهجت يبتسم فى خبث ..

وتواردت الافكار كسيل من الدمار فى قاع ذاكرتى ..

وبدأت أفسر كثيرا من تعليقات وتلميحات بهجت السابقة ..

يا الهى .. هكذا بســـهولة ويسر يتباحث فى ادق أمرنا مــع أصدقائه ..

هكذا هو دائما .. ولكنى لم اكن أتصور أن يصـــل الى هذا الحد فى الافتراء على حقيقة علاقاتنا !!

كان عمر كمن يكون مكلفا أمام أصدقائه بتقديم التبريرات الكافية بزواجه منى رغم اعلانه وما يبديه من سخط ونفور دائم ..

طنين فى أذنى .. وتابوتى الوردى يخنق انفاسى الثائرة ..

فصممت أن ألملم حبات عقدى بغضب .. بكل ما فى من غضب ..
بكل ما فى قلبى من ضيق ..

وفى بطء وخوف كنت خلالها أسمع دقات قلبى بأذنى ..
اسمع نبضى يعربد عاليا مدمرا .. يقتلع وعودى من نفسى ..

فى بطء كنت احتضن الالة السوداء .. اتحسسها .. اتعرف عليها .. من جديد ..

لقد عدت اخاطب خالدا ..

كان صوته باردا .. كانه فى حلم ايقظته منه ..

كان كمن نسى حبى وتناسانى ..

فاعدت الكرة فى الصباح الباكر .. واحسست ان الفجر مازال ينزف فى غزارة حين استاذن منى لمشاغله ..

خالد ينصحنى .. يرجونى .. ان اهتم برسوماتى .. وقراءاتى ..

خالد يحثنى بصدق ان اكتب او ارسم .. ان افعل اى شىء الا ان ..

جريت الى ملاذى .. لوحاتى المزوية .. ازحت الستار عن بعضها .. وامسكت الفرشاة .. فلم استطع ان ازيد الا بقعا ..

بقعا كثيرة .. حمراء .. وصفراء ..

بقعا سوداء ..

بقعا فى لون أعماقى .. اغوار اعماقى ..

وعمر لا يدرى من اعماقى شيئا .. ويملأ عينيه الضيقتين المحرومتين من الاهداب والحنان نظرة كبرياء وتفضل .. كمن يقول لى :

ـ اشكرى الله أننى ابقيتك تحملين اسمى .. وغفرت لك رعونتك .. فلا تطالبى بشىء ..

ولم يكن يعلم انني من زمن بعيـــد عريته في لوحاتي .. وفي عقلي .. وجعلته مجردا امام عيني ..

انني من زمن بعيد اكتشفت انه يخاف تكرار حدث .. وانه يحيا لحظة بلحظة خلف ظل هارب من بعيد ..

وخـالد يثيرني ببروده .. يثيرني باعتـــذاراته المستمرة .. اعتذاراته التي لا تنتهي ..

أما انا فازداد تعلقا به .. ارى فيه أملي .. منتهى أملي .. ارى فيه النجاح .. ارى فيه النصر .. احسه في كل لحظة من ايامي .. احيا منه وله .. صدري مشحون بعديد من الانفعالات .. ولكني خرساء والله خرساء .. تائهة في خضـــم أمواج الغضب والحيرة التي افقدتني قدرتي على التعبير ..

فقررت أن اذهب اليه .. نعم اليه ..

وهناك في داره .. الدار التي صنعتها بكياني .. الدار التي جعلت كل شيء فيها ينطق بما في قلبينا ..

وهناك كان بيننا عتاب ..

انا اعاتبه لانه لم يفك الطوق عن شعري ..

وهو يعتذر في رقة .. ويبكي بين يدي ..

هذا الجســد الكبير .. وذلك الراس التي اخاف ذكاءه .. كل هذا يبكي ويعاتبني على اني لم اخبره بما يحــدث مع زوجي أولا بأول .. لقد تصور انني اتعمد ابعاده عن حقيقة مشاكلي ..

كان يستكثر على هذه التضحية .. و ..

خالد يجلسني برفق في صـــدر الاريكة الحمراء .. ثم يغيب لحظات ليعود وفي يده كومة من اعقاد الياسمين التي كان يحضرها لي كل يوم .. وانا لا اتي لاخذها ..

يا الهى •• كان يفكر فى •• ولكنى بقلقى السابق كنت اعكسه عليه ••

فكان كلانا يبتعد عن الاخر •• بلا سبب •• وبلا رفق ••

أيام اخرى •• وفى عين زوجى نفس النظرة المتعالية •• وتلك الطريقة المؤسفة التى كان يلذ له بها أن يلمح ويعـــاتبنى بطريقة خفية بين اصدقائه •• بل ويدفعنى دفعـــا الى ان ابدى رأيى فى لوحات لخالد مصورة فى احدى الجرائد ••

غير محتملة حيـــاتى •• غير محتملة اكثر من قبل •• أيامى تضيع بين نظراته المتعالية •• ونظراته التائهة بحثا عن الهاربة•• ونظرات كثيرة طويلة الى ساقه اللعينة ••

احداثه الكثيرة تستنزف روحه القلقـــة •• ويبقى لى دائمـــا العدم ••

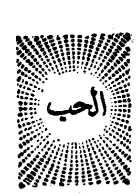
وقررت مرة اخرى أن اتركه •• فانا لا اقبـــل أن أكون بديلة غير مرضى عنها ••

وهو يا له من رجل بات النظر اليه يملأ نفسى مرارة•• باتت عيناه الضيقتان لا تدلان الا على الضياع •• على الحـــرمان •• على الفشل ••

انه معذب بصدق ••

انه مثلى تماما ••

الفصل الخامس



لقد علمنى الحب الكثير .. علمنى الشفقة ..
علمنى الرفق بكل الناس .. فلم أعد ساخطة ..
لم أعد أتاثر حين ينادينى باسم حبيبته عفوا ..
كبر قلبى .. واتسعت جنباته .. فلم تعد كلمة
صغيرة أو كبيرة تحفر بالسخط فيه .. أصبحت
مرحة غفورة .. فلم أعد أقبل اعتذاراته بعد أى
سهم مسموم يخرق سمعى .. كنت أشفق عليه..

على حبه الضائع ..

على قلبه الخاوى !!..

وبدأت أناقشه فى مشكلته .. أناقشـــه فى رفق وحنان ..
وبتحفظ شديد فتح لى قلبه الموصد .. ومع حـــكاياته عنها ..
كنت أحس بآلامه تتبخر بلا ضجيج ..

خالد يشجعنى على مشاركة عمر .. يحثنى أن أترفق معه وأن
أحزن لحزنه .. وأفرح لفرحه !!..

كنت أحيانا أطلب له حبيبته الهاربة وهو بجـوارى .. يسمع
صوت والدتها وهى تقول لى :

ـ انها خارج القطر ...!!

ثم يحثنى أن أسأل عن موعد عودتها ؟·· ويحثنى مرة أخرى أن اسأل عن كذا و ·· و ·· و ·· وأنا بالطبع منتحـــلة احدى شخصيات صديقاتها اللاتى يعرفهن عمر جيدا ·

كان أثر كل مكالمة يبتهج ويهلل كطفل كبير ·· يضـحك مقهقها وهو يخبط بساقه الخشبية أرض الحجرة ··

كنت أشاركه ضحكه ·· وكأنى أنا الاخرى أكفر عن كلامى مع خالد ··

الشلة تمل الحب والكلام عنه ·· الكل ينصحه أن يكف عن ذكر هاربته أمامى ·· وعمر لا يسمع لهم كلاما !!·· ولا يراهم ··!!

غارق فى ماضـيه ·· متطلع الى غـد أحسن ·· فربما يستطيع أن يراها ·· وأنا أحيا بكيانى ·· كيانى الضعيف مع مأساته ··!!

أواسيه بلا أمل فى نسيان !!··

ومع كل هذا كان فى بعض الاحيان ·· ينتفض كمن لدغته حية ليصيح فى وجهى :

ـ يا أيتها المرأة ·· أنت جاهلة ·· صغيرة على كل شىء ··

لم تنضجى بعد ·· فالاجدر بك ·· أن تذهبى وتتزوجى من هو فى مثل سنك ··

فاصرخ أنا الاخرى ·· فكم كنت أكره كلمة صغيرة ·· جاهلة ·· صغيرة على كل شىء ·· أصرخ لاقسم له أن من سأتزوجه لابد أن يكون أكبر منه مركزا وسنا !!··

فيضحك هذا الرجل ليقول لى :

ـ أنت بذلك تتحدين نفسك !!!··

أنا دائما أصغر من أن أصبح حتى مواسية ·· وأنا مازلت فى اصرارى أتحين الوقت المناسب للرحيل ··

وخالد يحبنى ويريدنى ·· ولكنه شديد الاشفاق على عمر !!··

يحيا مأساته ساعة بساعة ·· يفرح لفرحـــه ·· ويحار معه فى حيرته ··!!



لقد أورثنا عمر الضيق ٠٠ فصرنا مثله ٠٠ لا شيء يرضينا ٠٠!!
وتدريجيا عاد خالد لاعتذاراته المتكررة ٠٠!!
وكان يحدثني عن الصداقة لا الحب !!!
خالد يكثر من الاستفسار والتصريحات الصحفية ٠٠ ولكنه ما عاد يقول انه يحب الظلال السوداء !٠٠
ما عاد خالد يفكك الطوق عن شعرى الاسود !! ٠٠
مازال احساسى بأنى حبات عقد انفرط تتقاذفها الاقدام فى زحام ما يملؤنى ٠٠ احساس مخيف ٠٠ ووحدة ٠٠ فلا قيمة للعقد ٠٠ مهما كان ثمنه اذا كان نصيبه أقداما موحلة ٠٠
وفى امسية ذهبت اليه ٠٠ وحين دخلت البهو أعرى اللوحات من الستائر ٠٠ وجدت آثارا لزجاجة عطر !!٠٠
زجاجة عطر ليست لى !!٠٠

تركت كل شيء على حاله ٠٠ ويقين يملؤنى باننى تركت روحى فى تلك البقعة من داره ٠٠ وجريت الى هناك ٠٠ فلقد كنت أعرف أين يفضل أن يقضى امسياته ٠٠

وهناك ٠٠ وفى المكان الرابض على أعلى بقعة فى القاهرة ٠٠ بجوار الاهرام ٠٠ هناك كانت عربته ٠٠ وبداخلها نفس رائحة العطر التى كانت فى داره ٠٠

سيجارتى تكاد تحرق انامل المطلية بالاحمر القانى ٠٠ فالقى بها فى الطريق ٠٠

وحين بدأت فى ادارة محرك السيارة ٠٠ كان خالد يخرج مع جمع كبير ولكنه متأبط ذراع شقراء ٠٠

وفى دارى كنت فى حاجة أن اكلم انسانا ٠٠ فتفرست فى جميع الوجوه حول المائدة الخضراء ٠٠ ووددت لو ارتمى فى صدر عمر ٠٠ اشكو له همى ٠٠ اشكو له خالدا ٠٠

وددت لو يعاتبنى ٠٠ يهزنى ٠٠ يرجونى بالقوة مرة ٠٠ وباللين مرة أخرى ٠٠ أن أكون له ٠٠ ولكنه لم يفعل ٠٠ لم يتحرك

من مكانه ، وحين اقتربت منه وهو يتفرس فى الورق بين يديه
•• وتحسست بأصابعى شعره •• صرخ منتفضا وقال :
ـ مها •• لقد خسرت الدور •• ان وجهك سيىء على ••
يا لك من طفلة !!!••

تركته للورق !!•• وعدت الى حجرتى •• انظر فى المرآة الى وجهى المرتعش •• وأحدق فى اركان الحجرة •• وخطرت لى فكرة •• لماذا لا أشاركهم لعبهم؟؟•• وفى هدوء مددت يدى وأخذت مبلغا من المال ••

كانت عين الشلة تلمع من الفرح •• وقبل أن ينطفىء بريقها كنت قد خسرت كل المبلغ والبقية الموجودة لدى ••

ومع تكرار تلك الامسيات •• اكتشفت اشياء كثيرة ••
فجميعهم لصوص •• كل منهم يسرق الاخر باتفاق مع بعضهم ••
كلهم سرقت منهم الراحة •• فسرقوا هم الناس !!••

وربما سرقت راحتهم تحت التهديد بأشياء معينة •• بأشياء حساسة ، وربما ملفقة •• ولكنهم لا راحة لهم ماداموا احياء يرزقون ••

فقلت لنفسى : فاقد الشىء لا يعطيه •• حين فقد عمر الحب اصبح غير قادر حتى على التظاهر به ••

مللت الورق •• وتلك المائدة •• والسرقة كذلك •• جميعهم كل بدوره •• وعلى حدة •• ينفرد بى لثوان لنتفق معا على سرقة الاخرين ••

ولكنى مللت السرقة •• ومع مرور الايام •• وتلك الامسيات كان عمر يقلل من صداقته للكاس ويعشق الورق !! •• وكان اهنا حالا ••

شعور كريه •• ان اعرف ان زوجى يسرق •• انه يفعل اشياء •• وأشياء كريهة جدا •• كان يرويها لى بهجت بك بأناقة مؤثرة••

عمر لا يشفق على الاخرين ٠٠ فما سبب شفقة خالد عليه ؟؟ وقفز هذا السؤال الى عقلى كأنه موجة شتاء تلطم وجهى فى قسوة لتغرقنى فى دوامة من الشك ٠٠ ولا أرى الا خالدا وهذه الشقراء ٠٠

المرأة العارية من الظلال ٠٠

ولكن الفشل لا يعنى أن أستمر فى فشلى مع عمر ٠٠ فالتفكير فى كليهما يملأ نفسى مرارة وأسى ٠٠

وعدت الى دارى أنا ٠٠ دار والدى ٠٠ بيتى الاول والاخير ٠٠ ومشيت الى حجرتى أتحسس فراشى ٠٠

أشم رائحة وسادتى ٠٠

رائحة أيامى الغالية ٠٠

رائحة الطمانينة والاستقرار ٠٠

وأغمضت عينى ٠٠ ومشيت أتحسس دولابى ٠٠ ثم مكتبى الصغير ٠٠ ومفتاح النور ٠٠ وفرحة تملأ أناملى ٠٠ فرحة مرتعشة ورائحة دارى انا تملأ روحى ٠٠ أنا هنا أستشعر كيانى ٠٠ وانسانيتى ٠٠ أنا هنا مها ٠٠ مها ٠٠ الرقيقة ٠٠

أنا هنا ابنة أبى الغالية ٠٠

ها ٠٠ ها ٠٠ ها ٠٠ فى دارى يوجد رجل يحبنى بصدق ٠٠ يحبنى بلا مقابل ٠٠!!

يوجد أبى ٠٠ ونظراته الحانية ٠٠ تفيض من لفتاته ٠٠ وسكناته ٠٠ وحركاته ٠٠ حتى وهو غارق فى مرسمه وكتبه ٠٠ وكل تفكيره مركز فيما يفكر ٠٠ أحس به يحبنى بصدق ٠٠

العيون ٠٠ عيون الاهل والاقارب ٠٠ تحوطنى من كل جانب ٠٠ تراقبنى أو هكذا خيل الى ٠٠ وأنا أكرهها ٠٠!!

أنه أكره العيون الضيقة منها والواسعة !!٠٠

وقررت أن ألتحق بمدرسة لتعلم التمريض ٠٠ فكنت أقضى فيها كل نهارى ٠٠ وأعود بالليل منهكة ٠٠ لادفن وجهى فى وسادتى وأنام ٠٠

كنت احس أنى اعمل كآلة .. بلا تفكير .. بلا هدف ..
بلا امل ..
وبلا رفيق كذلك !!..

اليوم عطلة رسمية .. وانا جالسة فى دارى .. اتابع اخبار خالد من صفحات الجرائد .. واحيانا اقنع نفسى بأنى عفوا مكثا أعرف اخباره بسبب قراءتى للصحف ..

ثم اغفو قليلا .. واصحو لاعود للاغفاءة من جديد .. اليوم طويل .. ممل جدا .. التعلم ياخذ كل وقتى .. لا يشعرنى بالوقت ولا بالزمن ..

ما قيمة الزمن .. فى الماضى كنت احس ان الليل والنهار خلقا من اجلنا .. ان النسمة العطرة .. والكلمة الرقيقة .. والنظرة الحانية .. كل هذا خلق ليصنع لنا اطارا حول وجودنا ..

والدى يحاول جاهدا أن يخرجنى من عزلتى .. من تلك الدراسة التى احببتها كثيرا .. والدى يحاول جاهدا أن يخرجنى من عزلتى ..

واليوم عطلة .. وهو يعرف هذا .. فيصر فى الحاح أن اذهب معه الى احد اصدقائه حيث يقضى امسيته .. وهناك فى دار صديقه .. وعلى ضوء الشموع الحمراء وطنين الموسيقى وهى تعزف تلك القطع التى كنا نسمعها معا .. ووجه والدى الحانى .. هناك فى دار صديقه أحسست أنى أعود القهقرى .. أعود الى البعيد لاحيا صورة كاملة من ماضى مع خالد ..

الموسيقى .. والشموع .. وهو !!..

نعم .. هو .. كان بين المدعوين بقامته المديدة .. وبرأسه الذى اخاف ذكاءه .. وسيجارته التى لاتنتهى ..

يتكلم .. والجمع يصمت .. يضحك .. فتضحك الدنيا ويضحك الجميع ..!!

خالد بشخصيته المفريدة .. يؤثر فى أى شىء .. وفى كل شىء ..

وأنا بعض من شيء .. يا لعذابي ..!!

يضحكني .. ويبكيني .. في وقت واحد !!..

أجواء .. وأجواء يشدني اليها رغمـــا عني .. يحييني مرة ويميتني مرة أخرى .. والجمع يحيا معي .. ويتركني دائما أموت وحدي ..

ويقترب مني في رفق .. ليســـال عن أحوالي .. فأحـكي له قصتي مع مدرسة التمريض .. ويسمع في هـدوء .. ويشجعني كعادته .. يشجعني أكثر وأكثر .. ثم يقول فجأة :

ـ يا غاليتي الرقيقة .. لما هذا الســـجن الذي تحبسين فيه شعرك ؟!

ـ خالد .. وهل عاد شعري يهمك ؟؟.. ظلالي التي نمت بين يديك ؟.. وهل بقي لي مكان بين يديك ؟؟.. أنت لك كهف ذهبي !!..

ـ مالك تغارين منها .. أنت تغارين .. ما أحب المرأة القليلة الثقة في نفسها !!..

ـ نعم كنت أغار من زجاجة العطر !.. من آثارها في بيتك.. من ذهابك معها في كل مكان .. وذراعك تطوق خصرها النحيل و ... و ... و ...

وجرت في شعوبي الدموع من مقلتي .. وخالد يمسح عبراتي يحار معي وفي ..

وعدت في اليوم التالي الى مدرستي .. أتعلم فن التمريض .. وأدفن نفسي .. ووقتي .. وتفكيري ..

فان الاتقان وسيلة رائعة للهروب ..

⊚❖⊚

ومثل المرض تماما .. تلك الكلمة الرهيبـــة .. المرض الذي يطفيء كل شيء .. المرض يذوي كل جميل ..

خالد ينطفيء .. ويذبل .. وتلك الهالة المحيطة به تخبو .. تضعف .. وينعزل في بيته .. بين رسوماته .. يحاول أن يخلق من جديد .. أو يضحك من جديد ساخرا وهو يقول في كل مكان

وكل مجتمع ٠٠ الفن الهادف ماذا يريدون منى ؟ الفنـان لا يلهم قسرا ! انا لست مؤرخا انا فنان انا لست مسـجلا ٠ هذا عمـل الكاميرا ٠٠ انا مجمل للطبيعة ثم يضيف :

– وما احوجنا أن نجمل كل ما حولنا ٠ انا اصنع الجمال او أخلقه فى أعمالى ٠٠ انا ٠٠ انا حر ٠٠ انا حر ٠

نداء يهتف بى ٠٠ نداء يشدنى أن اذهب اليه ٠٠ ولكنى أضيع نفسى فى التعلم ٠٠ اهرب وانا أتعلم ٠٠ لا ألتفت الى الالة السوداء الباردة ٠٠ وهى تدق ٠٠ تدق ٠٠ لانى قاطعتها ٠٠ فما عاد لى حاجة اليها ٠٠ انا لا امسـها مهما جرى ٠٠ انا لا امس كل ما يذكرنى بنفسى ٠٠ كل ما يذكرنى بخالد ٠٠

وهذا الطبيب الصغير الجسم والتركيب ٠٠ اللامع الشعر ٠٠ ينظر الى فى اعجاب ٠٠

لقد كنت فى هذه المدرسة بمثابة الشىء الغامض ٠٠ الذى كان كل واحـد منهم يريد أن يكتشـفه ٠٠ بل يريد أن يـكون أول المكتشفين له ٠٠

سيدة مجتمع تدوس الفراء لترتدى هذا الرداء الابيض وتتعلم٠!!
كان هذا تساؤل الجميع ٠

كانت تضايقنى هذه الملاحقة من كل الاطباء ٠٠ كلهم يرى فى عينى شيئا غامضا ٠٠ يدعوهم كلهـم للبحث عنه ٠٠ وسـؤال الزميلات والتقاط أى عبارات من فمى ليفسرها كلحسب تصوره ٠٠!!

امسيات كثيرة كنت اقضيها وبجوارى هذا الطبيب الدقيق التكوين اللامع الشعر جدا ٠٠ يعلمنى ٠٠ وفى عينيـه نظرة حائرة ٠٠ وأنا أشفق عليه ٠٠ فما هو الاصورة متكررة مثلى تماما ٠٠

فلقد أحببت قمة ٠٠ احببت هالة مضيئة ٠٠ احببت ذكاء رجل كنت أحس فى أعماقى بضآلتى بجانبه ٠٠

وهو مثلى تماما ٠٠ فانا اشفق عليه ٠٠ واجلسه بجوارى ٠٠ يتكلم ٠٠ ويشرح أى شىء ٠٠ وأنا اسمعه ٠٠

وهو سعيد بهذا القدر من المكوث بجوارى ٠٠

الفصل السادس



بخالد .. مرحبا به فى عزلتى .. فانا احب عبث يديه فى ظلالى الغزيرة .. ومرحبا بتلك الدوامة التى يحييني فيها ..

فانا أكره الوحدة ..

أكره الصمت ..

والصمت للقبور فقـــط .. وعبير من الـكبرياء سرى فى أوصــالى .. فان خالد لم ينسنى ..

خالد لا غنى له عن ظلالى السوداء ..

الدنيا تبدو جميلة .. الدنيـــا رائعة .. انهـا لا تأخذ هكذا فقط ..

الدنيا تعطى خالدا .. وخالد يعطينى كل شىء ..

وعادت ايامى تحلو لى .. عدت استيقظ على صوته .. واغفو على انفاسه ..

عدت احيا ..

فانا لم أعد امرأة مهجورة ..

ارفع راسى بين الجميع .. بل أحدق فى كل العيون ..

العيون التى كنت اتوارى منها زمنا ..

عدت لاحدق فيها بقوة واصرار ..

وخالد سعيد بى •• فانا ملهمته الغالية ••

وعاد شعرى الاسود يطول •• ويطول ليلثم اصابعه ••

ولكنى كنت احس دائما بعد لقائى بخالد •• انه رغم تظاهره بالسعادة والحبور •• والفرح برؤيتى •• كنت احس ان بعضا من اعماق نفسه هارب منى •• فهو كثير التدخين •• كثير التأمل•• يكثر من الضياع حتى وظلالى بين يديه •• ومهما حاولت التقرب منه فهو بعيد •• بعيد ••

بعيد •• فى عالم يخفيه عنى •• عالم ربمـا ضيق •• وربما رهيب ••!!

كان يعانى من ازمة فى عمله •• لا اعرف مصدرها •• كان على غير وفاق مع من يعمل معهم •• مرات ومرات حاول السفر كعادته بقصد العمل فلم يوفق !!

ترى هل قضية الفن الهادف التى كثيرا ما يرددها ولا ينتظر منى جوابا هى التى تؤرقه • الفنان لا يلهم قسرا و •• و •• وعشرات كلماته التى يرددها كثيرا فأسال نفسى اكثر من مرة :

ـ لماذا لا يدافع عن وجهة نظره ؟! اذا كانت هنـــاك قضية بهذا المعنى !!

ـ لماذا يكلم نفسه فقط ودائما ، واذا تكلم فى اى مكان آخر فلا ينتظر جوابا من احد ••

ترى هل تساؤله بلا جواب ؟؟

وفى كل يوم كانت شهيته للطعام تضعف •• وتضعف •• حتى خيل الى ان شهيته للحياة بدأت تموت هى الاخرى ••

وفى يوم ميلادى كنت على موعد معه ••

يا له من يوم ميلاد لامرأة ••

أعد الساعات •• والدقائق للقائه ••

فانا لم اعد اطمع فى اكثر من ان القاه ••

وذهبت فى الموعد المحدد الى هناك •• فى المكان البعيد ••



هناك بجوار النيل •• وكان الوقت وقت غروب •• وخالد لم يشرق على بعد •• وأنا لا أصدق واستنكر وقفتى الغريبة هكذا وحيدة ••

وفجأة طعن النيل الشمس ليغيبها فى أعماقه •• تاركا على شدقيه الواسعين خضابا من دمها المرتعش •• ورويدا •• رويدا •• يبهت اللون الدموى ويسود لونه •• ان النيل فى الليل كئيب ومخيف ••

وأنا واقفة فى مكانى استعطف النجمة الضالة •• استجدى الهلال الشاحب •• لعله يهدينى ••

ولكن خالدا لا ياتى والسخط يملأ أضلعى •• واحساس باننى دمية يلهو بها يملؤنى بل ويطفح منى فى شكل دموع •• دموعى كثيرة غزيرة ممتزجة باصباغ عينى السوداء •• فانا فى وقفتى كذلك •• لا امتلك غير دموع سوداء •• تكتب على وجنتى كل معانى الذل والضياع ••

نعم •• ذل وضياع •• فلقد قبلت ان أعود اليه بعدما رأيته بعين راسى فى اكثر من ركن من اركان المدينة مع شقرائه الباهتة •• ولكنى فى خضم فرحتى بعودته نسيت كل شىء ••

انقل نظرى بين الطريق والنيل •• فأسمع له صوت الندم المرير فى حق الشمس •• ربة الخير والطيبة •• وارى صفحة وجهه يكسوها الغيظ والندم •• وجهه الذى يحمل طابع القسوة والالم •• ثم يعلو صوته تدريجيا يستنزل اللعنات على نفسه •• وعلى كل شىء •• ولكن دون جدوى ••

فمتى كانت اللعنات تريح الضمير أو تكفر الاساءة ••

ان اللعنات كما يقول خالد لى دائما : انها من شيمة الاقزام •

وخالد لا ياتى والسخط يملأ أضلعى ••

واحساس اسود لئيم يزحف الى قلبى .. شعور مر .. ان اتصور انه من الجائز ان يكون متعبا .. ثم اعود لاستبعد كل هذا ..

فمحال أن خالدا لم يتعد الحلقة الخامسة .. ولكن من الجائز أن يكون ..

وجريت كالمجنونة فى الطريق .. الى أن وجدت نفسى فى داره وحيدة .. أفتح جميع الحجرات .. أنبش فى سريره بأظافرى.. أعرى كل لوحاته .. أنادى عليه .. أنادى :

ـ خالد .. خالد .. وفرحة مجهضة تخترق روحى .. لقد عثرت على كلمات موجهة لى وكان يقول :

ـ ربما تصلك سطورى .. وربما لا تصلك على الاطلاق .. فأنا هذه الايام أتصرف وفق دوافعى وحدها .. دون أن اناقش أى تصرف حتى مع نفسى .. وأنت يا غاليتى الرقيقة ، ما ذنبك فى كل ما أعانيه .. ما خطيئتك فى ذلك الضياع الذى بت أحيا فيه..

سيدتى .. أنا أعفيك من نفسى المتعبة .. من ذلك الضوء المحتضر .. الذى يحيطنى من كل جانب .. ولكن يا غاليتى الرقيقة لا تنسى أن تفكى الطوق عن شعرك الاسود ..

(خالد)

لم أستطع أن أحدد تماما احساسى فى تلك اللحظات .. ولكنى موقنة اننى اتنفس أعمق مما كنت .. وأرى أوضح مما كنت أرى .. فلقد كان كل همى أن أعرف أنه بخير .. ولكن تبا لهذا الرجل .. يشقينى .. يؤرقنى .. يخنق كل ومضة كره تجاهه .. فأنا لا أستطيع أن أكرهه ..

شعور ممل الا أستطيع أن اكره انسانا .. واظل هكذا أدور فى بوتقة هيكله .. الى أن احترق .. وبعد الحريق الرماد .. وبعد الرماد العدم ..

العدم •• العدم •• كلنا الى العدم ••
فلأختر عدمى بطريقتى الخاصة ••
يا له من يوم ميلاد لامرأة ••!!
فلقد صعدت أولى درجات العدم •• فى أمسية بعد ذلك اليوم ••
فى تلك الامسية التى كانت تمطر •• تمطر ضيقا •• تمطر مللا
تمطر رذاذا يعقد شعرى الطويل ••
وخالد لا يحب شعرى مبتلا ••
وتحت قلب اريكته الحمـــراء •• كنت اجلس ادخن سـجائرى الكثيرة ، وحين سألنى قلت :
ـ اننى أنتحر يا خالد •• !!
ـ تنتحرين مها ؟!!
ـ نعم •• انت استاذى فى هذا •• فوالله اننى لن اغادر هذا المكان الا بعد ان اشرب عدد ما شربت من سجائرك ••!
ـ عفوا سيدتى •• ولكن هذا قدر كبير عليك !!
وامسك ذراعى يأخذ النار ••!!
ـ ابنة ارضك أولى بمشـــاكلك •• أم انك تفضـــل مشاركة الشقراوات ••؟!!
نظرة محتضرة •• وبســمة صفراء كانتا جوابه •• ومازالت الهالة المحتضرة تتراقص فوق رأسه الذكى ••
خالد وعدنى بأن يكف عن هذا القدر الهائل من الدخان ••
خالد دائما يفى بوعوده •• ولكنه لم يفتح لى صدره •• لم أعرف التفاصيل الدقيقة التى تشغله •• كان يتجنب الخوض فى تلك الموضوعات •• وكنت بالتالى احترم رغبته ••
هناك احساس دفين ينبض فى اعماقى •• احســـاس رهيب •• احدث به نفسى •• فما كان يمكننى الحصول على خالد وهو ملك متوج فى حياته السابقة •• ولكن يمكننى الحصول عليه الان ••

يا لغبائى .. كنت ابكى الليالى الطويلة .. الليالى الغريبة حزنا عليك .. كل ما أنت فيه .. ولم اكن اعرف ان فيه الخير لى .. ان فيه الزاد لى .. فانت يا خالد انت زادى الوحيد ..

نعم .. كنت أفضل الحصول عليك فى قمتك .. كان هذا يشبع نفسى .. يروى ظمئى الى الحيـاة التى لفظتنى .. وخلقت منى زوجة سابقة منزوية .. زوجة لا يحس بها احد ..

وهنا قفز الى مخيلتى ذلك الوجه .. وهاتان العينان الضيقتان المحرومتان من الاهداب والحنان وذلك الشعر الاسود والابيض..

قفز وجه عمر الى مخيلتى .. هذا الرجل نسج منى ضائعه .. جعل منى ماذا ؟؟

لم يجعل منى شيئا ..

فهو غير قادر على اى شيء ..

لقد أصبح هو الضائع الان .. يرجونى .. ويرجونى كل يوم .. كل ساعة .. ان اعود اليه ..

عمر .. عمر زوجى السابق .. يوكل اليه عمل جديد ..ها .. ها .. ها ..

فانا ربما لا أعرف كفاءته كرجـل عمل .. ربما له شخصية مزدوجة .. اولى فاشلة فى الدار .. واخرى ناجحة فى العمل.. أو ربما يشفقون عليه ..

نعم .. فلقد كان اولى الناس بالشفقة .. لانه دائم العذاب على هاربته .. وكأن العذاب خلق ليكون توأمه المفروض ..

مسكين هذا الرجل .. فمازال يرجونى بحرارة .. وأنا أحدق فى عينيه الضيقتين ..

لعلنى المس تغييرا .. لعلنى احس أن رعشة السخط التى كانت تختلج فى كيانى قد خفت حدتها ..

ولكنه كان كما هو عمر ·· عمر ·· الذى لا يتبدل مهما حدث··
كنت انت ·· انت بغرورك ·· وعنادك ·· وغبائك احيانا ·· بل احيانا كثيرة ··

كنت تاتى لتلقى على محاضرة فى الحياة الزوجية ·· ثم تنفض قامتك فى الهواء الطلق وتنصرف ··

وخلال لحظات انصرافك ·· أسمع دقات رتيبـــة وحزينة ·· تذكرنى بطفولتى ومدرسة الراهبات القريبة من دارنا ·· والاخوات يحاولن بالقوة مرة ·· وباللين مـــرة اخـــرى ·· أن يرغمنى على المشى أمام جنـــازة أحـــد الآباء ·· صـــوت دقات ساقك تنقلنى بسرعة مذهلة الى الماضى البعيـــد ·· ويملأ اذنى بتلك الموسيقى الممتزجة بصوت أقدام الاطفال ·· وتنصرف ·· تنصرف عنى ياعمر ·· بلا وعود بالحب ·· بالحنان ·· بالمشاركة ·· لا وعود بأننى لست صغيرة الى الحد الذى كنت تنظر الى به فى الماضى ·· لاشىء جديد غير قبتك الرسمية تطبعها على أناملى فى سخف ··

مسكين أنت ·· لا يستطيع المرء أن يحبك ·· وكذلك لا يستطيع أن يكرهك ·· لا يستطيع حيالك الا أن يكره نفسه ··

وشلتك الضائعة تنفض من حولك ··

عفوا سيدى ·· ليست هى الراغبة فى ذلك ·· ولكنك أنت ·· تطرد الواحد تلو الاخر ·· فلقد ســـئمت كل شىء ·· وتلوح لى بانك استغنيت عنهم ·· ولم يعد يبقى لك غيرى ··

ولكنى أعرف يا عمر ·· انك تبقى لى لتضع يدك على خدك·· كامرأة فقدت عاشها ·· تضع يدك على خـــدك ·· وتتوه منى فى اغوار لا أعرفها ··!

فأنا لم أعرفك بعد لاعرف أغوارك !! ··

ثم تفتح الشاشـــة الصغيرة ·· ليقع بصرك مثـــلا على خالد وتؤنبنى وتهزأ منه ·· وجميع آرائك الســـابقة عنه وعن طاقاته التى تفوق طاقة والدى الاكاديمية تتـــلاشى فى بوتقة انانيتك ··

وبهذا انا لا احترم لك رايا ‥ ثم تحاول ان تملأ كاسك واشجعك فانا اصبحت اؤمن بالسوائل المخدرة لك ‥ فهى الوحيـــدة التى تخرجك من معبدك المظلم ‥

آه يا لهاربتك الشقية !‥ لو كانت تعـــرف كم تتعذب ‥ كم تفشل ‥ كم يتكرر فشلك كل ليلة ‥ ولكنهـــا لا تحس انها فى الخارج ‥ خارج وطنك لا تعود من هناك ‥ وانت تنتظر وحتى بعد كل هذا بعد كل ما حدث واكثر ‥ فانا اؤكـد لك انك مازلت تنتظرها ‥

فأنت لا تعرف غير الانتظار ‥!!

وانا آه يا انا ‥ أقدر عـــذابك ‥ فانا لم اعد أحقـد عليك كامسى ‥

فكما قلت لك ‥ لقد طهرنى الحب ‥ طهر أعماقى ‥ وعلمنى الصفح ‥

فانا لم أعد أحقد عليك ‥ ولكنى لن أعود اليك ‥

فلقد فقدت القدرة على اسعادك انت بالذات ‥ فانا لن أتحمل كلماتك الجارحة وكانك تريد أن تخلق منى صورة لها ‥

أنت يا عمر تحبس كل شىء فى نفسى ‥ حتى شعرى ‥

وخالد يحب شعرى مسدلا ‥

وانا أحب أن انثر دائما ظلالى الغزيرة ‥

عيناك عذابى ‥ عيناك اللتان خلقتا لتنظرا الى فى كـره وفى حقد !!‥

على ماذا ؟؟‥ ربما فى الماضى لاننى لم اكن قد تعـذبت مثلك ومع ذلك فبعد أن تعذبت وانت تعرف هذا ‥ مازالت نظرتك الى ساخطة ‥ عيناك تصرخان بهـــذا حتى وانت ترجونى أن أعود اليك ‥!!

حتى وانت تعطينى هذا الوهم الكبير ‥!!

وهم ان اصبح أما لطفل ..!!

الحب خلق منى انسانة شفافة .. فانا استشف الحقيقـة من عينيك الصغيرتين .. مهما ضحكت .. ومهما منيتنى ..

فحين تحنى رأسـك ذا الشعر الاسود .. والابيض .. وتمـد شفتيك الغيلظتين لتقبل راحة يدى ..

اتخيلك فى دقائق .. وانت تمد شـفتيك لتقبل راحتى طفلك الصغير المزعوم ..

ولكنى فجاة ارى فى عينيك الكره .. الكره كله .. وأرى فى شفتيك الضجر .. وكأنك تساومنى مقابل عودتى ان تمنحنى هذا الطفل ..!!

انها ليست معادلة حسابية كالتى تقوم بها فى زيارتك للشركات يا عمر ..!!

ولكن ما حيلتى ان لم يخرج هذا الطفل الى الحياة .. وعليه سمات الهاربة .. فمن المؤكد أن هـذا لن يحدث .. وتصورتك تكرهه او تكرهها .. لمجرد انها تشبهنى ولها خصالى ..

هى الاخرى .. ستحب ان تطلق شعرها هكذا يداعبه الهواء ..

هى الاخرى .. ستشد الثوب قويا على خصرها ..

هى الاخرى .. ستهوى القراءة .. هى .. هى ..

وتصورتك تضربها .. تضربها وهى صغيرة .. وتشد ظلالها السوداء ثم تقذف بها فى آخر الحجرة ..

وانا كما قلت لك لا احب ان اشقيك معى ..

فانا ارفض .. وانت ترجونى بالايام .. أنت عمر .. عمر .. من كنت تتباعد عنى شهورا كاملة .. لا يقع بصرك على .. تتوسل .. تقبل يدى .. تلك هى الدنيا .. وهذا ما اخافه فيها .. وانت يا عمر بكل ما تفعل تخيفنى من الحياة ..

توسلاتك .. نظراتك .. كل ما يصدر منــك .. خيرا .. أم شرا .. يخيفنى من الحياة فلا دوام لشىء !!..

من كان يلفظنى بالامس .. يحبو الى اليوم ..

وانا لا اشعر باى لذة كما تتصور .. انا لا اشعر باى مرح أو انتصار .. لانك تدق ابواب الاقارب بعد يأسـك من بابى .. طالبا عودتى اليــك .. لا .. لا .. يا عمر .. انا لا اشــعر بشىء ..

ولكنك تزيد امواج الخوف القاتل.. تدفعها الى قلبى الصغير.. الى عمرى الصغير .. الى كل شىء .. حتى بات الخوف منك.. ومما يحيط بك دما فى عروقى ..

عمر .. انى .. انى خائفة من العــالم اجمع .. خائفة من عالمك .. خائفة من عالمى ..!

فعذابك يعذبنى ..
شقاؤك يشقينى ..
فانا لم اتخلص منك كما تصورت .. والا فلم تشقينى ؟؟..

وبما الحب هوالاخر الذى علمنى هذا من شدة ما صهر مشاعرى واحاسيسى .. فى بوتقة دافئة حانية ..

لونها يا عمــر وردى ..! فتلونت احاسيسى بهذا اللون .. فانت تعذبنى لانى فى اعماقى احس بعذابك ..

ليتك تكرهنى .. ليتك تستمر كما كنت ضجرا .. ضجرا منى .. ولكنك يا عمر لا تفعل بل تدق الابواب .. كل الابواب .. كل الابواب .. كل الابواب .. لعلك تجدنى فى احدها ..

وانا اشعر بضالتى بجوارك ..

اشعر بانى قطرة فى محيط انسانيتك .. فانت كبير القلب .. انت غفار .. ولولا هذا ما اتيت بعد كل ما عرفت عن خالد.. وقلت لى :

ـ مها .. لقد غفرت لك من قبل .. سواء أكان هذا من اجلك .. أم من اجل خوفى من تكرار حدث كما تقولين .. ولكنى غفرت لك .. فأرجو أن تقبلى العودة الى .. وفكى الطوق عن شعرك .. افعلى ما شئت .. ولكن عودى مها ..

وانا لن أعود سيدى .. فانا لخالد .. ومن اجله .. أحيا .. فهو الامل وهو الغاية .. هو الطمانينة .. وانت يا عمــر اختر زوجة اخرى فى العقد الرابع من عمــرها كما تقول .. وليست طفلة .. و ..

هكذا انت تركت براكين دائمة فى أعماقى ..
براكين لا تخمد الا لتثور من جديد ..!!
وأنت يا صانع البراكين غير قادر على أن تخمدها ..!!
وذهبت بعيدا عنى .. ولكن بعد أن احزنتنى .. اشقيتنى ..
لقد جعلتنى ضجرة من نفسى ..

فانا لا استطيع الصفح مثلك .. لا أستطيع الغفران .. وانت يا عمر غفار كبير ..

وانا مازلت بعيدة .. رابضة أسفل الهوة التى صنعتها بيديك ..

وربما لانك ما احببتنى يوما .. فلهذا تصفح .. أو ربما لانك تزوجتنى ولم تشف بعد من هاربتك .. ومع هــذا فانت محق .. فمهمــا كانت أيام شــبابك .. ومعها كذلك وبســببها .. ودعت الشباب وانت تودع بعضا من جسدك فى تلك الحادثة اللعينة ..

هذه المرأة حفرت بالدم والحب فى كيانك .. ولكنى مع هــذا .. لا انكر اننىأحببتك زمنا وكنت أرى فى شعرك الاسود والابيض الليل والنهار معا .. تصور .. ايمكن أن يرى الليــل والنهار معا ..

هكذا كنت أفسر طبيعة شعرك .. !!

خيالات صبيانية كمــا كنت تقول لى .. كما كنت تصــدنى يا عمر ..

ومع هذا نالت الفشل منى ..

انت غفار .. وانا مازلت رابضة فى أعماق الهوة التى صنعتها بيديك .. وذهبت بعيدا .. بعيدا فلم أعد أسمع عنك خبرا .. وبهذا هدات .. وتسلل احساس ببعض من الراحة والهدوء الى أعماقى .. أعماق قلبى ..

خمدت الضوضاء التى صنعتها من الكلام .. وممسكت الآلة السوداء ..

صمتت .. فلا الاهل .. ولا الاصدقاء .. هم الاخرون يتكلمون ..

نعم كان بعض من أصدقائك يتكلمون .. جزء منهم يخطئنى وأخر يخطئك ..

ولا يعلم أحد .. يعلم شيئا عن أغوارك القلقة .. كلهم يتكلمون .. ولكنهم لا يعلمون اننى مللت المداراة .. مللت التمثيل .. اننى طلقت من سنوات وليس الان .. لا يعلمون اننى اعتدت الطلاق منذ سنوات ..

طلاق روحين من بعضهما .. وعاش كل منا فى عالمه الخاص ..

اذن هم يتكلمون فى قضية خاسرة .. عفى عليها الزمان من سنوات مضت ..

وأحيانا يلوحون لى بمنصبك الكبير .. لقد كنت تحب أن تسمع هذه الكلمة البراقة وتحب ان تقال عنك .. فكنت فى أغوارى .. فى أعماقى .. أحب ان أرضيك لانى مع كل هذا أنا فى داخلى شخصية الزوجة التى ترضى زوجها ..!

نعم .. زوجة منذ بعيد .. فلقد تزوجتنى اصغر من الصغر نفسه !!

_ فاعتدت أن أكون زوجة .. زوجة فى كيانى .. وفى كلامى .. .. وفى أعماقى ..

فانا دائما اقول لمن حـــولى ٠٠ لاقاربك واقاربى ٠٠ انـك ذو منصب كبير ٠٠ فقط لارضيك ٠٠ وأتصورك تنفض قامتك المديدة فى الهواء وتهز ساقك اللعينـة بطريقة عصبية ٠٠ وتسبل عينيك الضيقتين الصغيرتين جدا ٠٠ وتسترق الســـمع جيدا ٠٠ وهم يقولون لك :

ـ انها تقول ان منصبك كبير ٠٠!!

ثم تهب لمحادثتى قائلا :

ـ ان منصبك الكبير الجديد يحتم عليك السفر الى الخارج ٠٠ وتود أن تنتهى من اجراءاتك لتغادر الوطن ٠٠ ويجب أن تجهزى كذا ٠٠ وتجددى جواز سفرك ٠٠ و ٠٠ و ٠٠

وكعادتك يا عمر فى غمرة اعتدادك بنفسـك ٠٠ كنت تخطط من شدة فرحتك بالرحيل فتتكلم عن الغد ٠٠

عفوا ٠٠ عفوا سيدى ٠٠ يا لك من رجـل ا٠٠ كم كنت اتمنى أن تغمض عينيك ولو قليلا عن الغد ٠٠ وتفكـر فى امسنا الجاف امسنا الحائر ٠٠ تفكر فيه ٠٠ أو حتى حاضرنا تفكر فيه ٠٠ فما فائدة السفر وكلانا كما كان ٠٠

يا الهى نسافر لنضيف الى جبل فشلنا حجرا جديدا ٠٠

وبما يكون له بريق اكثر لمعانا ٠٠ ولكنه حجر فى قبر حبنـــا الدائم ٠٠

طيبة منك أن يبهرك كل جديد يا عمر ٠٠ أن تأمل فى الغد هكذا سريعا ٠٠ أن تثق فى عودتى اليك ٠٠

انا مازال المـر يتقطر من لعـابى ٠٠ المر يزداد فى قلبى ٠٠ فى نفسى ٠٠

فانا يا عمر مازلت انزف فى مرارة حتى وانا اقبـــل خالدى الوحيد ٠٠!!

لا ادرى ما الذى صنعته بى هـــذه الليالى الطويـلة ٠٠ هذه السنوات المطوطة ٠٠ افقدتنى طعم الحيـاة ٠٠ وكانه حدث فى

وروحى شرخ بلا صوت .. بلا ضــجيج .. شرخ فى أعماقى ..
فكيف لى أن أعود اليك ..؟؟

احيانا كنت تقول لى :

ـ أنت تخافين الام الوضع .. فى الخـــارج لن تشعرى بأى الام .. الطب هناك متقدم .. الخارج .. والام الوضع .. أنت تريد أن تجنبنى اياها .. وأنت لا تدرى اننى أتمنى أن تكون هذه الامى بدلا من الامى وانا ارتدى ثوبى الاسود .. واشــده على خصرى بقوة والم ..!

الام خلقتها الموضة .. وخلقها جنونى بنفسى ..

أما تلك فخلقها الله ..

لم يعد شيء فى كلامك يقنعنى .. ترى هل كبرت الى الدرجـة التى اصبحت اشعر فيها بصغر افكارك وكلامك ..؟؟

واخيرا يئست وفى زحام حيرتك من رفضى المتكرر .. لانك لم تفهم ما يختلج فى صدرى .. فى زحام حيرتك من رفضى المتكرر..

تكلمت عنى .. وعن خالدى .. فليس أمامك غير هذا ..

ليتك ما فعلت .. فلم تزدنى الا يقينا بأنى ابتذل نفسى بعودتى اليك ..

وعادت صورتك تتجسد امام عينى التعبـــة .. كأنها لوحة لم تتم بعد .. وأنت مازلت تتكلم وتتكلم ..

يا لطفولتك يا عمر !.. عفــوا الطفولة بريئة منك .. حتى اننى كثيرا لا اصدق أنك كنت طفلا يوما ما ..

تتصور ؟.. تتصور !! اننى كنت سعيدة .. وأنت تتهمنى .. تمزقنى .. هكذا أمام الخلق ..

تتصور انك اسعدتنى .. جعلتنى انام هادئة ..

تتصور انك صانع هذه الراحة ..

فيا لك من مخلوق أحيانا ٠٠ تصنع فى نفسى براكين لاتخمد ٠٠
وأحيانا تريحنى وتسعدنى بما تصورت انه يشقينى ٠٠ يضعفنى ٠٠ يطفىء كل ومضة كبرياء فى ٠٠ ويجعلنى اعـــود اليك ٠٠
لقد أعطيتنى احساسا باننى فى معركة لابد لى فيها من الفوز ٠٠

أنا لم أعد أضيق من تصرفاتك ٠٠ وأنت تدق الابواب ٠٠ كل الابواب ٠٠ بعد يأسك من بابى أنا ٠٠

فانا لم أعد أشعر أنك غفار كبير ٠٠ وأنا رابضة فى تلك الهوة السحيقة ٠٠

لقد عدت قويا كما كنت ٠٠ قويا جدا ٠٠ الى درجة أنك تلوكنى فى كل مكان ٠٠

عدت تأخذ صورتك الاولى ٠٠ عدت كما كنت عمر ٠٠ عمر ٠٠

فرحلت والله وسافرت ٠٠ تركت لك الدار ٠٠ والالة الصاخبة ٠٠ التى كان يزعجنى بها الاقارب والاصدقاء ٠٠

سافرت حيث يوجد البحر ٠٠

وهناك على صدر الامواج الثائرة كنت أسعد حالا ٠٠

فالجرح باق ٠٠ جرحك يا عمر ٠٠ ولكن هناك فى هذا البعيد على صدر الامواج ٠٠ لا أحد ينبش ليل نهار فى جرحى ٠٠

هناك يا عمر كانت الامواج تحـــدثنى فى كل شىء ٠٠ الا فكرة العودة اليك !٠!

عمر ٠٠ الامواج تكلمنى عن كل شىء ٠٠ عن أحلى شىء ٠٠ عن خالدى ٠٠ وكلمت خالدا وجاءنى صوته :

- نعم سيدتى ؟
- خالد ٠٠
- أهلا ٠٠ أهلا بك يا غاليتى الرقيقة ٠٠ صوتك بعيد ٠٠

قالها بصدق وود ٠٠ دقيقة ٠٠ لحظة صمت كانت لها أبعـــاد ساعات وساعات من الحنان واللهفة من السؤال على ٠٠ كل منا يبعث موجات ٠٠ والاخر يلتقطها متجاوبا رغم احلك الظروف ٠٠

خالد لن ابقى هنا •• والا ماذا بقى لى ؟!؟
ـ ماذا بقى لى انا اميرتى ؟؟•

الح وجهى شاحبا باهت الملامح •• اراه الوانا باهتـــة كانه محاولة اولى فى الرسم لطفل موهوب •• ابتعد عن المرآة مذعورة ••لقد انهكنى الناس بكلامهم •• انا مريضة من كثرة المجادلات•• من كلام عمر •• كلام مسموم حفر بعمق واتقان •• ليتنى استقر ولو قليلا حتى استعيد بعضا من نشاطى ••

وفى دارى التى صنعتها بيدى •• بكيانى كله •• كنا نجلس•• وعيناه تنقلاننى من صحراء الوحـــدة •• الى غابات أهدابه •• استقى من عينيه كل شىء اتلمس اهــدابه بنهايات اصــابعى •• فاحس النغم •• نعم فلقد كانت أهدابه أوتارى •

اتحسسه متوسلة •• متلهفة احيانا •• لاني من هنا يا خالد•• وهنا اريد ان اولد من جديد •• لا اريد الرحيل ••

هذه الدار صنعتها بيدى •• وأنت تحيا فيها ••
أنت تصنع من كل يوم معنى جديدا ••
عجبا •• عجبا ••!!؟؟

كل شىء فى انا يزعجنى •• فان قلبى مازال ينبض •• مع أن خالدا يصر فى عناد جامح ان يعفينى من تلك الازمة التى يجتازها •• خالد يرفض مشاركتى له فى ضيقه •

الفصل السابع



•• حيرى •• ويقين يملؤنى باننى اشــلاء ••
مبعثرة •• احاول لملمتها من خلال محاولاتى فى
ان ارتدى تلك الملابس الناصعة البياض مرة أخرى
•• ملابسى البيضاء والتعليم وسيلة رائعة للهرب
العمل مرهق يحتاج الى تركيز •• اقف الساعات
الطويلة •• أعد المائدة •• أمــــلؤها بالادوات
النظيفة الكثيرة •• وبعد ثوان تصبح متسخة جدا
يغلب عليها اللون الاحمر ••
وانا خلف القناع الموضوع على وجهى •• أرقب
الاطباء وهم يتحسسون موضع الالم ويخلقــــون
مواضع جديدة للالم ••
مذعورة جدا •• اشلاء يلقون بها •• وانا أغسل
البقع من عــلى ردائى الابيض النظيف والادوات
اللامعة ••

ولكن بقع نفسى لا تغسل •• لا تمحى بقع قلبى لا تزول ••

خالد •• خالد •• انى خائفة ••

وكيف للخائف أن يطمئن ؟ •• انه يشجعنى أن ارسم من جديد
•• ان اعود الى هوايتى السابقة ••

خالد يهوى العمل ·· يحب الخلق الجديد ·· يزيل خوفى ·· ولكن من خلال لوحاتى !··

وانا اتابعه كظله فى كل نقطة من هذه الارض ·· اغمس فرشاتى فى اللون واقذف بها على اللوح ·· لاعمل بقعا بقعا ··

خالد يستخرج من هذه البقع اشخاصا واحداثا ·· تلك كانت طريقته ورغبته فى التعبير عن نفسه ·· وهى طريقة استجدت فى دربه بعد تلك الازمة التى كان يحاول اجتيازها ··

وانا متعبة من تلك الخيالات التى يصنع منها رجالا ونساء كلهم يعبدون العمل ·· ولكن الضيق ·· وربما التزمر ·· لالا ربما عدم الاحساس بالامان يجعلنى لا ارى البســـمة على وجوههم ·· ولا ارى حتى قطرات العرق الفضى على جباههم ·· يعمــلون ولكنهم فاقدون لشيء ربما لمعنى ··

هم لا يحســـنون التعبير عنه ·· !

وانا لا احسن الفهم منهم ·· !

نهارى بقع فى اللوحات ·· وليلى بقع على ردائى ··

وخالد ليس اكثر من مجرد معلم ·· موجه ·· وبعد البقع يسود الصمت بيننا أقطعه بأى تنهدات ·· وكان يجيبنى ولكن الصمت والسأم يغلفان حديثه ·· وطالت هذه اللحظات الحرجة بيننا ·· طالت لتحبسنا فى ظلماتها ·· وانا احاول عبثا ولكن هيهات ·· كان خالد عنيدا ·· يحركنى يضعنى حيث يريد ·· حيث يشاء ··

وكان لنا فراق ·· لا ارى فيه خالدا ·· ولا أسمع صـــوته ·· ولا يفكك الطوق عن ظلالى ·· وأصبح شعرى خيوطا سوداء على كتفى ·· حليه صناعية من الخيوط ·· وما معنى تلك الخيـــوط المعلقة هكذا فى رأسى بلا معنى ·· بلا نبض ·· ولا حياة ·· فانا كما قلت أصبحت رأسا لدمية صلعاء فى يد القدر ··

نعم كانت دميتى وأنا صغيرة فى مدرسة الراهبات صلعاء ·· شعرها فى مكان وجسمها فى مكان آخر ·· او هكذا كنت دائما أراها هكذا ·· !



امسياتى قاتمة سوداء .. واحيـــانا كثيرة حمراء .. اسمع لها انين الوحدة .. ممتزجا بانين المرضى .. وضحكات الاطبـاء الجافة .. وفى احدى امسياتى الدامية احسست كان الغرفة تدور بى .. وانا ابذل مجهودا كبيرا لاتماسك حتى أعطى الطبيب ما يطلبه صحيحا ..

وتتوالى اللحظات مسرعة .. فالقى بالرداء الابيض جانبا .. واذهب انهب الشارع بقدمى المتعبتين .. الى ان اصـل الى خالد الغارق بين لوحاته .. هنا فرشاة ملقاة على سجاده الثمين .. واخرى بين نهدى اريكته المفضلة .. وهنـاك فى احشاء الحجرة كانت لى صورة لم تتم بعد ..!!

اما خالد فكان نائمـا على وجه مكتبـه .. واصابعـه تحتضن برفق كأسا فارغة .. يسقى نفسه ضياعا .. أو نسيانا لا ادرى تماما ..

خائفة أن اناديه .. رماد فى حلقى .. فلا صوت لى .. ترى ماذا حدث له .. وفجأة قال :

- عفوا سيدتى الرقيقة .. لقد اثقلت ..

دقائق .. ومازال الرماد فى حلقى قاسيا .. فلا صوت لى .. وأيقنت بحقيقة مؤلمة .. انه ولابد اننى تخطيت مرحلة العدم .. فكان لابد لى من الرماد كمرحلة طبيعية اخرى ..

الرماد مع خالد !!

فقال مرة اخرى :

- عفوا سيدتى .. لقد اثقلت !!

- لم .. .. لم كل هذا ؟؟

- انت لم تخبرينى أميرتى .. أنك آتية لزيارتى منذ زمن ..

فقلت :

- اما زلت تذكر عبارتك مناداتك .. اياى .. أميرتى ؟

وغسلت وجهك واصلحت هندامك .. وكنت جائعـة الى اشياء كثيرة .. فلم تعطنى غير قطرات من البرتقال !! .. شرابك المفضل .

ثم امسكت الورق تلعب لعبة الصبر .. وتاملتك تاملت قامتك المديدة .. عيناك مازالتا تحييانني تارة وتميتانني تارة أخرى .. وانا احب الحياة والموت منك .. ثم قلت لك :

ـ عفوا خالد تلعب لعبة الصبر .. وانا بجوارك ؟؟

ـ رفيقتي اروض نفسي بلعبة الصبر .. و ..

ـ لا .. لا .. اراهنك انه غير ذلك .. والكاسب منا يتكلم بصراحة في كل ما يريد ..

ـ انت ذكية مها انت مسلية جدا !!

ـ اتراني اسليك اكثر من الورق ؟؟

ومن هنا بدانا لعبتنا .. كنت اود ان اكسب الورق حتى اكلمه .. احكي له اشياء واشياء .. اشكو له نفسه .. اشكو منه .. واكلمه بصراحة ..

وشئت يا قدر ان اتكلم .. فاجلسني امامه .. فتاملته مليا .. اذكره بالصراحة التي تواعدنا عليها ..

موجات من الدموع المحرقة تندفع الى مقلتي المجهدتين .. معان كثيرة تصطخب في صدري ..

وحين احس بثورتي مد يده يتحسس ظلالي .. يطمئنني باني لست صلعاء .. تناول يدي يقبلها .. سالني اين لونك الاحمر القاني ؟..

وانا اجمع شتات قلبي .. اطراف احاسيسي الدامية محاولة ان اتكلم وقلت :

ـ ما رايك في ان اقتل نفسي ؟

ـ هكذا اميرتي دفعة واحدة !!..

ـ بل اكثر بطريقة لا يعرف بها انني خنقت كل ومضة في نفسي عمدا .. فلن يعرف احد غيرك ..

ـ هذه وسيلة الضعفاء .. ما عهدتك ضعيفة مها !!

ـ اؤكد لك انني بكامل قوتي .. ومع ذلك اريد هذا المصير ..!

ـ بالله وهل تملكين مصير نفسك ..؟

ـ أود أن أملكه خالد ..

ـ والامل فى الغد .. أتذكرين لوحتك التى اطلقت عليها اسم الغد وجعلت اشعة النور تحيط براس فتاة تملك دمية صلعاء ..

ـ وان كنت بلا غد يا خالد ! ؟؟

واطرقت براسك قليلا وانت تردد :

ـ بلا غد .. بلا غد مها ..!!

لعلك فى تلك اللحظة ادركت ما كنت أقوله من ايام .. وبالايام ..

أسارير وجهك تقول هذا .. نبضـــك يدق بهذا .. انا اعرف عينك .. أحس بك ..

وابقيتنى دقائق .. ليتراقص النور حول رأسى انا الاخرى ..

ثم قمت تذرع المرسم ذهابا وايابا ..

وأنا احاول أن استرق السمع الى وقع أقدامك .. لقد اعتـدت أن افسر اشياء كثيرة من خلال دقات وقع اقدام الناس فى الحياة .. ولكنى لم أسمع لقدميك وقعا على الاطلاق ..

ثم ادركت بعـــد ذلك أنك فهمت .. وتاثرت .. وأنا أروى لك كل ما يقوله عمر وكل ما يقوله الاهل والاصدقاء .. وتلك القصص التى نسجها عمر من خيوط حقده وثورته ..

نسجها حول علاقتنا الطاهرة ..

وقلت لك ان نظرات الجميع تتابعنى فى الذهاب الى أى مكان .. كلهم .. وكأنهم يقولون لو ذابت الشوارع والطرقات من وقع قدميك فلن يتزوجك ..

كنت تخرج كل مناديلك لتجفف بها دموعى حتى اضحكتنى من شدة لهفتك على ..

كنت تهدهدنى كطفلة .. وأحيانا تنادينى بأسماء تدليل كثيرة .. حتى تسكتنى .. لقد كنت بفعلتك هذه كانك فتحت على بابا من الجحيم .. فكلما ربت على كتفى ازداد بكاء ..

واكتشفت اننى صورة بلا جوهر .. لقد تمزق وأنا أجتاز تلك المرحلة من حياتى .. ولكن الصورة الخارجية بقيت كما هى .. لامعة براقة .. تحيطها الظلال من كل جانب ..

الفصل الثامن



فى صمت •• فى جو حاول كلانا ان يستخرج منه الفرح •• بالاحتفال بزواجنا ••

وكان خالد دائم الاعتذار •• فى رقة •• بانه لم يستطع ان يقدم لى شيئا •• لانه لم يعد يملك شيئا ••!!

يكثر كثيرا من هذا الاعتذار البارد •• كلماته تزيد السام فى نفسى •• تكثر كثيرا من القول :

ـ لو تزوجتك حين كنت لاحضرت لك •• لجعلت لك •• لصنعت لك ••

خالد اشكرك اولا •• ولكنى اخترتك وقبلتك على ما انت فيه •• فانا لا اطمع فى اكثر من ان اكون بجوارك •• فى اى مكان •• ولكنك تصر ان تشدنى الى مجال تفكيرك •• كم كنت تتمنى ان تجعلنى الف للدنيا كلها فى زورق من عاج •• ورجل القيثارة يدق لنا لحن الحياة ••

احلامك عن الماضى كثيرة •• كثيرة •• جعلتنى انا الاخرى اتمنى لو اركب زورقا بقيثارة وردية •• كنت كمن تقول لى :

ـ على اى شىء تفرحين يا بلهاء •• لقد خبا نجمى ••

وانتقلت عدوى الضيق الى نفسى •• وعشعش السأم والضياع فى روحى •• وعشت معك بقلب بعضه تحطم فى الماضى •• والبعض الاخر انت لا تسمح له بالحياة •• حياته الحاضرة ••

وتصر الا أن تبكينى على ماض كنت تشتهيه ••

وانت تكثر من الضياع منى فلا اجدك •• ودمعة محبوسة •• هكذا حكمت عليها انت ان تظل محبوسة فى مقلتيك الحائرتين •• دمعة كبيرة تلون كل نظراتك •• كل ضحكاتك ••!

خالد •• لم أعد اميز بينك ضاحكا •• او باكيا !!

وأنا فى فرحتى الاولى •• فى غمرة انتصارى باننى تزوجتك كنت أتناسى كل هذا !!

اتناساه وانا اكلم الصديقات والقريبات ••

رد اعتبار المراة المهجـــورة ، رد كيانها ، ردت روحهـــا بين أضلعها ••

فكنت أمعن فى نشر خبر زواجى •• ادعو صديقاتى لارفع رأسى بينهن انا •• أنا لست توأم الفشل •

لقد كنت اجاهد لامحو من اغوار نفسى تلك الجراح التى صنعها صانع البراكين ••

خمدت الضوضاء •• هدأت هذه الجلبة المحيطة بنا ••

وبقيت وجها لوجه مع خالد ••

بقيت بداخلى الممزق •• فى حاجة الى الهدوء •• فانا ارفض أن أحيا يومى •• بل اريد أن اتوه •• أن انام كمـــن كنت اجرى شوطا طويلا ••

فأريد ان انام •• أن انسى من اكون •• حتى ولو كنت محبوبة ••

فانا جد متعبة •• متعبة جدا ••

أنت متعب كذلك •• مرهق •• ضايقتك بصـــديقاتى •• وبتلك الضوضاء التى كنت أصنعهـــا فى المنزل برنين الهـــاتف الذى لا ينقطع ••

بكل هذا كنت احاول أن اجفف نزف روحى .. ان الملم شتات نفسى واعود كما كنت .. ولكن كان هناك ضيق يسرى فى عروقى كان لم تعد لى حاجة بالحياة ..

من اريكتى الى مخدعى انام .. اتعمد النوم طول اليوم ..

فاين تلك الطاقة التى كنت أسير بها من دارى الى دار خالد .. وفى اى وقت ؟..

فى البرد .. فى الليل .. فى اخر الليل .. فى المطر سواء كان من السماء أو من عينى كنت اسير حتى قال لى خالد يوما :

ـ ظننتك ستكونين احسن حالا مها ؟؟

ـ انا بخير .. بخير كثير خالدى !.. وتواريت منه فى مخدعى ادفن راسى بظلالها فى الوسادة ..

شىء سقط منى .. ضاع وانكسر بلا ضجيج فى اعماقى .. ولم ينفع صدر خالد فى العودة الى الحياة ..!!

وفى ليلة عرض على خالد حريتى ودارت بى الارض والسماء .. فلقد فجرت هذه الكلمة شحنات وشحنات من الرعب .. والخوف فى المتصدع الذى ينبض فى صدرى ..

فكفى ما قاسيته فى الماضى .. فانا لا اريد تكرار التجربة من جديد ..

اليس خالد الذى احببت ؟؟ .. والذى تمنيت ؟؟

ومن يومها حرصت على أن ابدو فى احسن صورة .. فى احسن مظهر .. فانا ضاحكة .. ضاحكة دائما .. تملأ صيحاتى جوانب المرسم .. انا دائما مرحة مزغردة .. أو هكذا أردت أن أبدو ..

انا لم اعد انام طوال نهارى .. بل اقوم اكثر من مرة .. لاضع الاصباغ على وجهى .. اضعها بكثرة .. واظل الف وادور فى داره طول اليوم ..

نعم دارك .. فلم اعد احس انها دارى القديمة التى صنعتها بيدى وجعلت كل ركن فيها يصرخ مناديا : مكانك مها هنا .. مكانك مها هنا ..

اتجول فى داره متعطرة متزينة .. وبسمة واسعة على شفتى .. ويخرج فى أى موعد فالتصق بالسرير .. بالدولاب .. بصورة .. بأى شيء .. فلقد كنت خائفة من كل شيء ..

اشلاء أنا .. ورصيدى من الخسائر ضخم لدرجة انه افقدنى القدرة على الاستمرار فى الحياة ..

وحيدة أتسول فى داره .. اتنقل هنا وهناك .. افكر فى هذا العرض الذى عرضه على يوما ما ..

افكر فى حريتى .. فى العودة الى المستشفى .. الى الاطباء والمرضى .. الى حياتى السابقة .. ليس هذا ما كنت انشـده مع خالد .. لا ادرى ما حدث تماما .. ولا يهمنى أن اعرف .. فانا لا احاول هذا مطلقا ..

لقد اصبح بيننا شيء مفقود !!..

وعينا خالد ارى فيهما ذكرى .. نعم ذكـرى حلوة .. ذكرى مزغردة .. فانا أنهل من ذكرياتى لاحيا غدى ..

أضحك عاليا لاسمعه .. وأبكى وحدى لنفسى .. وبلاد دموع احاول عبثا أن امتزج معه .. فأمسك الفرشـــاة لانثر البقع .. ويستخرج هو منها تلك الوجوه الدائمة التألم ..

وجوه حائرة .. وجوه ضائعة .. فى الزحام .. وجوه تحب الماضى .. وتتمناه .. وجوه تخاف الماضى والمستقبل !!..

فخافت حاضرها ايضاولم تعشه ..

وافكر اكثر لتبرز صورة عمر بوضوح .. واعود لاتكلم كثيرا واضحك بلا مناسبة .. واعيد التفكير فى كل شيء ..

فى خالد .. فى حياتنا ..

فى عمر ..

فى ظلالى .. كأنها ستار أسدل على نهـــاية اثنين .. ولكنى اتجنب التفكير فى حريتى .. واكتشفت اننى اصبحت انا الاخرى .. انا الاخرى ..

أخاف تكرار حدث معين .. فأبدأ الضحك من جديد ..

للمؤلفة :

- بلا قنـــاع   دار الفكر العربى
  ترجمت ونشرت فى جريدة لومـــوند الفرنسيه

- اللعبة والحقيقة ٤ طبعات دار الفكر العربى
  حصلت على الجـائزة الاولى للادباء الشبان

- الحلم عندى بغضبى   دار الفكر العربى

- قبر الاخرين   سلسلة كتاب الاذاعة والتليفزيون

طبع بمطابع اخبار اليوم